ŋǿɯū‡ǩŧ ŋǿĂŧƐÆŽǽyǩŧ ŋǽƐhŧʒlǩŧ ŋǽʒÑHʊŽlǩŧ

ÆŽǫūǩŧ Ƥƫɯǩŧƥ Æǩĸūǩŧ Ǫǿǫūɑǩŧ ɲʒŧƐƥ

-Θʒĸǿσ – Žƥyǫʊ ǰƛŧ ŋūǫĸΣ

ŋǿÜĸŽɑΣèŧƥ ŋǿɒzĸʂɒzâŧ ɑÑǫūǩŧ ŋǿǫg

ŋǿɒzĸʂɒzâŧ ɑÑǫūǩŧ :Ǫʂā

ưǽʒĸɑǩŧ ŬƐə

ŋǫÑɔÑŽǩŧ ƐDžĸüŽǩŧƥ Ƥǽyƫǩŧ ÆƛƐüǩŧ ĸƐŭŽǩŧ ưǽʒĸσ :DŽdžUσ ƐɑɔĸŽǩŧ ɲYʻĸHuII Ǩǿɒǩ ŋǫyÆǫ ɲƐgƶǫ

:øƛ

التعليم بالمغرب الأقصى منذ قيام الدولة العلوية إلى الحماية الفرنسية (1075/1325هـ – 1664/1912م)

:ǰ ǿɑɯǩʻǩăǩŧ YŧyŮƑ

ŋØƫɑə ŋǽƐǫŧÑƥ

ɲʒʻɔ ŋǽƐǫŧÑƥ

:Ƶʻɑɔàŧ ÙŧƐ‖Ƒ

ğʻŽg ŋɒʂf

ŋ‡āʻɒŽǩŧ ŋɒlǩ ƉKNJŰǫ

ʻʂǿhʊʒ .....ğʻŽg áƥŧƐƫɒž ǰƛ.Y

ʻəƐ‡ǫ ..... ğʻŽg ŋɒʂf.Y

ʻ‡āʻɒǫ ..... ŧ ǿɯƫǩ ʒʻÄɒzʊ.Y

:ŋǿüǫʻlǩŧ ŋɒʂǩŧ

ǫ2017 -2016 øǩ ĀəŧÑŽǩŧ øǧ1438 -1437

شكر وعرفان

نحمد ونشكر الله على توفيقه وتسهيله لنا لإنجاز هذا العمل

نتقدم بشكرنا الجزيل لأستاذنا الفاضل الدكتور حسنة كمال الذي شرفنا بقبوله والمتابعة والإشراف على هذه المذكرة، كما نشكره على النصائح والمجهودات التي بذلها من اجلنا مذ بداية تحضيرنا للمذكرة إلى غاية إنهائها فبصبره وتفهمه وأمانته العلمية التي لم يبخل عليها على أحد.

دمت لنا بحرا ننهل من ينابيع معارفك وخبراتك وتجاربك.

وفي الأخير نشكر كل أساتذتنا الأفاضل في قسم التاريخ

الإهداء

اهدي ثمرة جهدي وباكورة عملي إلى التي غمرتني بحنانها وضحت براحتها من اجل سعادتي إلى مصدر الحنان أمي الغالية أطال الله في عمرها،والى من أشبعني بدفء حنانه وحبه إلى من رفعت رأسي عاليا افتخارا به أبي وحبيبي الغالي أطال الله في عمره .والى كل أخواتي والى أخي الصغير محمد أمين والى رفيقة دربي فتحية وصديقتي الغالية فاطمة والى كل عائلتي كما اهدي هذا العمل المتواضع إلى أستاذي "حسنة كمال"

سارة

إهداء

اهدي ثمرة جهدي الى فلذة كبدي و قرة عيني الى من قامت تنزع الشوك عن طريقي فرأيت في عينيها نبراس العلم ،و ابصرت نورا في اخر النفق فانا اتنعم فيه بفضلها امي ...ثم امي...امي الغالية

الى من كان رمز صمودي و مفتاح نجاحي الى من كان قدوتي و سندي في الحياة و في السراء و الضراء ابي العزيز

الى النسمة التي تهب عليا كل صباح و مساء اختي صارة ،الى اخوتي و اخواتي، الى صديقاتي خضرة و فاطيمة .

الى زوجي الكريم الذي ساندني و ساعدني في انجاز هذا العمل و كان عونا لي .

الى استاذي الكريم "حسنة كمال" الذي ساعدنا في انجاز هذا العمل .

الى كل طلاب قسم تاريخ و اساتذة جامعة ابن خلدون.

فتحية

قائمة المختصرات

المختصر	الكلمة
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تص	تصدير
تع	تعليق
تق	تقديم
ج	جزء
د .ت	دون تاريخ
در	دراسة
ص	صفحة
ط	طبعة
قس	قسم
مج	مجلد
نق	نقدية

مقدمة

عرف المغرب الأقصى مع الدولة العلوية، حياة الاستقرار والازدهار، فبعد الفوضى والاضطرابات التي عمت جل المغرب في أواخر عهد السعديين، والتي دامت أكثر من نصف قرن، تمكن العلويون من القضاء على الامارات المتنازعة وتوحيد المغرب تحت راية واحدة بعد سلسلة من التمزق والتدهور، بحيث لم تمنع هذه الاضطرابات السياسية من وجود حركة علمية وثقافية تهتم بها فئات اجتماعية في كل جهات البلاد، وتساهم في تنشيطها السلطة الحكومية.

كان لملوك هذه الدولة الاعتناء التام بالتعليم والاصلاح العام، وجعلوه أول أهدافهم من أجل النهوض بالمجتمع والأمة الاسلامية، وذلك بالإحسان الى العلماء والمنتمين إلى العلم ونشره، واعانتهم ومد ساعد المساعدة اليهم ماديا ومعنويا، فتوارثوا هذه الميزة سلفا عن خلف.

ان البحث والدراسة في هذا الموضوع يمنحنا الفرصة للإجابة على كثير من التساؤلات المتعلقة به، وبهذا يمكننا طرح الاشكالية التالية:

كيف كان التعليم في المغرب الأقصى على عهد الدولة العلوية؟

وتنبثق عن هذه الاشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية وهي كالتالي:

- ما هي أبرز العوامل التي ساعدت على تطور التعليم؟
- وكيف كان نظام التعليم على عهد هذه الدولة؟
- وفيما تجلت مظاهر التعليم؟

إن موضوع التعليم موضوع هام، بحيث لا يمكننا أن نتصور حضارة دون تقدم في مجال التعليم، فهو رسالة سامية أوصى بها الله تعالى في القرآن الكريم وأكد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم في الأحاديث نبوية الشريفة، والدليل على ذلك هو نزول أول آية في القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ الآية 01 من سورة العلق.

وقد وقع اختيارنا لهذا الموضوع وذلك من أجل التعرف على التعليم على عهد هذه الدولة، لأن هذا العهد يمكن اعتباره عهد نهضة علمية بمعنى الكلمة، فقد شهدت هذه الفترة مجموعة من التحولات الفكرية والاجتماعية والثقافية، أسست بما يسمى النهضة العلمية بكل مظاهرها وتجلياتها، ومن أجل أن يكون هذا الموضوع مجالا للبحث والدراسة في هذه المذكرة.

أما عن المنهج المتبع والموظف فهو يجمع بين المنهج التاريخي والتحليلي، فالتاريخي لسرد الأحداث ووصف وقائعها، والتحليلي للشرح والتفسير.

ولدراسة هذا الموضوع تطلب منا الاعتماد على خطة بحث والتي بدأت بمقدمة ومدخل، ثم انتقلنا الى صلب الموضوع فتناولنا فيه ثلاثة فصول عالجنا فيها الموضوع المراد دراسته، ثم خاتمة كحوصلة للموضوع وألحقناها بمجموعة من الملاحق والبيبلوغرافيا وفهرس للموضوعات.

فالمقدمة عرفنا فيها الموضوع ، والاشكالية المراد معالجتها وبينا أسباب اختيارنا للموضوع وأهميته، بالإضافة الى ذكر المنهج والخطة المتبعة، والمصادر والمراجع المعتمد عليها، وقمنا بذكر أهم الصعوبات والعراقيل التي واجهتنا خلال البحث، ثم ألحقنا المقدمة بمدخل والذي كان تحت عنوان لمحة عامة عن الحركة الفكرية في المغرب الأقصى في عهد الدولة السعدية، فتحدثنا فيه عن أهم ما ميز الحركة العلمية بصفة عامة على عهد هذه الدولة، ثم فتور وتدهور هذه الحركة في أواخر العهد السعدي، أما الفصل الأول الذي جاء بعنوان عوامل تطور التعليم في العهد العلوي، أدرجنا تحته ثلاث مباحث والتي تضمنت تشجيع السلاطين للعلم والعلماء، بالإضافة الى مساهمة الرحلات وأيضا فضل العلماء واسهاماتهم، أما الفصل الثاني الموسوم بواقع التعليم في المغرب الأقصى في العهد العلوي كذلك هو الآخر يندرج تحته ثلاث مباحث فتناولنا فيه، نظام التعليم ثم مراكز التعليم وفي الأخير المواد المدروسة، أما الفصل الثالث والأخير فكان بعنوان مظاهر التعليم وهو الآخر تضمن ثلاث مباحث، وهي المؤلفات ثم الخزائن العلمية بالإضافة الى المجالس العلمية.

وللتعامل مع هذا الموضوع وجب علينا الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع، فمن بين هذه المصادر نذكر:

- الترجمانة الكبرى، لأبي القاسم الزياني والذي أفادنا بالتعرف على سلاطين الدولة العلوية وانجازاتهم ومآثرهم في الحركة العلمية وكتاب الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، لعبد الرحمن بن زيدان، الذي أفادنا هو الآخر في دور السلاطين في مجال التعليم واعتنائهم بالعلم والعلماء وتشجيعهم على اقتنائه، أما كتاب مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان، لمحمد بن عبد الله العلوي، والذي أخذنا منه اصلاح التعليم وأهم المواد المدروسة، وكتاب سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس لصاحبه محمد بن جعفر بن ادريس الكتاني الذي أفادنا في تراجم العلماء في تلك الفترة والعلوم التي نبغوا فيها.

أما المراجع منها:

- التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، لإبراهيم حركات والذي أفادنا في الفصل الثاني في المراكز العلمية كالكتاتيب والمدارس، أما كتاب الحسن الأول لمحمد العربي معريش الذي أفادنا في الفصل الثالث وأخذنا منه المطبعة الحجرية ودورها في حركة التأليف بالإضافة إلى كتاب المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية لآسية الهاشمي بلغيثي والذي أخذنا منه المجالس العلمية.

وككل بحث مبتدئ تعترضه بعض الصعوبات والعراقيل، فقد اعترضتنا مجموعة من الصعوبات التي تمثلت أساسا في طول الفترة الزمنية المراد دراستها، بالإضافة إلى حكم أننا لم نتمكن من الحصول على كل المصادر المتعلقة بموضوع بحثنا فالمصادر التي اعتمدنا عليها هي غير متخصصة في موضوعنا فهي مجرد سرد لأخبار وارتسامات على عهد كل سلطان من سلاطين هذه الدولة، واستعراض لما جاء

فيه أحداث، لكنها تعتبر ذات أهمية باعتبارها أولية، كما ما تعسر علينا فهم هذه المصادر، أما المراجع فهي قليلة على حد علمنا، بالإضافة الى نقص الخبرة والتجربة في ميدان البحث العلمي.

مدخل

لمحة عامة عن الحركة الفكرية في المغرب الأقصى في عهد الدولة السعدية

شهدت الحركة الفكرية، التي تعتبر أحد ميادين الحياة العامة ازدهارا كبيرا في عهد الدولة السعدية[1] بالمغرب الأقصى، فمع مجيء السعديين استقرت الأحوال السياسية، وبدأت الحياة الثقافية تسترد عافيتها، فإذا كانت مسؤولية الجهاد بالنسبة للسعديين قد شكلت أرضية ومنطلقا لقيام دولتهم فإن المسؤولية التي احتلت الرتبة الثانية بعدها هي مسؤولية نشر العلم ورعايته، بحيث وجهوا عنايتهم إلى إصلاح المدارس والمساجد القديمة ومن ذلك توسيع مسجد القرويين.

كما عملوا على تعهد أهل العلم وطلبته بالعناية التي بلغت أوجها في عهد أحمد المنصور[2]، وهو ما شهد له أبو العباس المنجور الذي قال: "ما عهدنا بذل المئات إلا في أيام الأشراف وما عهدنا بذل الألوف إلا في أيام المنصور"[3].

والواقع أن هذا الازدهار يرجع لعدة عوامل تتمثل أساسا في تخصيص أوقاف للعلماء الذين كانوا يقومون بالتعليم سواء في المدارس أو المساجد أو المخصصة للكتب العلمية، التي تشحن بها الخزانات والمكتبات التي يستفيد منها طلبة العلم[4].

---

[1] – **الدولة السعدية** : اختلف المؤرخون في نسب السعديين، فالبعض يرى أنهم من ولد محمد النفس الزكية، فهم من بيت علوي ومن سلالة الأشراف التي تواجدت بالمغرب الأقصى، قدموا إليه في أوائل القرن الثامن الهجري في عهد بني مرين من الينبوع، بطلب من سكان درعة، الذين اتصلوا بهم في الحج ، فدخلوا المغرب الأقصى واستقروا في منطقة تاكمادارت والبعض ومنهم المقري صاحب نفح الطيب يقول بأنهم من بني سعد بن بكر بن هوازن قوم حليمة السعدية مربية الرسول صلى الله عليه وسلم، كما يذهب آخرون القول بالسعديين جاءت فقط لأن الناس سعدت بهم واستقام أمرها تحت حكمهم، ينظر: أبو القاسم الزياني، **تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب**، ط1، تح رشيد الزاوية، الرباط، مطبعة الأمنية ، 2008، ص. 72.

[2] – هو أحمد بن أبي عبد الله المهدي ولد بفاس سنة 956هـ، من أم تدعى الحرة مسعودة بنت الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد الله الوزكيتي الوزازتى، وهو من أهم السلاطين السعديين، بويع بواد المخازن في يوم الاثنين سنة 1578م بساحة المعركة، ثم جددت بيعته بفاس، عرفت الحركة الفكرية في عهده ازدهارا كبيرا يشهد له التاريخ ، توفي سنة: 1603م، ينظر: محمد الصغير الأفراني، **نزهة الحادي عشر بأخبار ملوك القرن الحادي عشر**، ط1، تح، تق: عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1998، ص. ص. 146، 147.

[3] – لحسن الأيوبي، **الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1998، ص. 75.

[4] – سعيد بوركبة، **دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية، ج1،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية**، ص: 117.

ومن الثابت تاريخيا أنه في عهد هذه الدولة ظهرت عدة شخصيات مرموقة في علمي المعقول والمنقول، كانت نجوم لامعة في سماء العلم، عرفت برصيدها المعرفي الغزير، واستطاعت أن تؤدي رسالتها العلمية للخاص والعام من الناس[1].

كما أن سياسة السلاطين في تشجيع العلم والعلماء أخذت تؤتي أكلها، إذ تنافس الناس في هذا العهد من أجل اقتناء العلم والاحتراف بصناعته الشريفة لاعتزاز أهله وسعة أرزاقه حتى كثر حاملوه واستبحر شهابذته، فتعددت المشايخ وكثر التلميذ ونبغ التأليف في التصنيف[2]، إذ نجد أن السلطان المنصور قام بتشجيعه للعلم وحثه للعلماء على التأليف في شتى أنواع المعرفة.

ومن العوامل البارزة أيضا التي ساهمت في تطور الحياة الثقافية تطعم العناصر العلمية الوطنية بأخرى أندلسية وشرقية فازدادت أفاق المعرفة اتساعا أمام الراغبين في الدرس والتحصيل، وغدا الطلبة يجدون في ديارهم ما كان أسلافهم لا يدركونه إلا بالرحلة والاغتراب[3].

ولزاوية الدلائين التي تأسست في نواحي تادلة فضل عظيم في الدور العلمي الذي لعبته في عهد هذه الدولة، خصوصا في أواخرها، حيث كانت مصدرا للإشعاع الفكري في مختلف فروعه، فحافظت بأمانة على ثقافة المغرب في ثوبها القشيب خلال فترة الاضطرابات السياسية للبلاد في آخر أيام الدولة السعدية[4].

---

[1] – سعيد بوركبة، المرجع السابق، ص. 117.

[2] – عبد الكريم كريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، ط2، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الدار البيضاء، 2005، ص. 317 .

[3] – محمد حجي، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين** ، ج2 ، منشورات دار المغرب، ص. 339 .

[4] – محمد الأمين، محمد علي الرحماني، **المفيد في تاريخ المغرب**، نشر دار الكتاب، الدار البيضاء، ص. 206 .

فلقد اعتنى الشيخ أبو بكر الدلائي بالعلم والعلماء واهتم بالغ الاهتمام بتعليم أبنائه الستة فكان من يدرس على العلماء الوافدين على الزاوية الدلائية، ومنهم من كان ينتقل إلى مدينة فاس ليدرس فيها[1].

أما بخصوص المراكز الثقافية أيام السعديين، ازدهر النشاط الثقافي فيها بالمراكز الكبرى بفضل الرعاية التي حظيت بها من طرف الدولة، فتألقت مراكش وفاس وتارودانت واجتذبت إليها الطلاب من جميع أنحاء البلاد، ومن مدارسها ومساجدها كان يتخرج أكبر العلماء والأطر بالدولة .

كما برزت إلى جانب المراكز الكبرى مراكز أخرى ساهمت في نشر العلم والمعرفة بأنحاء البلاد منها مراكز سوس التي تميزت بالنشاط بكل من تمنارت وأكلو وإبليغ وتارودانت وأيضا الزاوية الدلائية التي تعتبر من مراكز العلم الفعالة في هذا العصر.

وأيضا تميزت مناطق الشمال ببلاد الهبط وغمارة وتطوان بنشاطها الثقافي وأمدت البلاد بأعلام ومشاهير[(2)].

وكان للمنصور دورا بارزا في الاعتناء بالمرافق العامة، فبنى المساجد وقام بتشييد الخزانات العلمية وتحبيس الكتب النفيسة عليها، وقد نفقت في أيامه أسواق العلوم بعد كسادها، وأحيى في عهده ما اندرس من الحرف والفنون المهمة كالمنطق والنحو والفقه والحساب والهندسة والطب والموسيقى، وتعاطى الناس الآداب وتنافسوا في تأليف الكتب، وأجاز عليها مؤلفيها من مغاربة ومشارقة، وعربت في أيامه بعض مؤلفات الأوروبيين، وكان بلاطه خاصا بفحول الشعراء، وبلغاء الكتاب ونبغاء الفقهاء والعلماء[3].

---

[1]- محمد حجي، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، الرباط، 1988، ص. 74.

[2]- لحسن الأيوبي، المرجع السابق، ص. 76.

[3]- أحمد بن محمد المقري ، **روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**، ط2. المطبعة الملكية، الرباط، 1983، ص. ل .

بحيث مثلت القصائد الشعرية في معركة وادي المخازن وفتح السودان وغيرها مصدرا هاما للشعراء فقالوا في ذلك قصائد كثيرة[1].

وانتشرت العلوم الأدبية أيضا انتشارا واسعا، وكان المنصور الذهبي نفسه متضلعا فيها ومن بين أدباء ذلك العصر والمؤلفين نجد: التمنارتي صاحب ديوان الشعر وعبد العزيز الفشتالي صاحب مقدمة الديوان، والمتنبي وشرح مقصورة المكودي[2].

أنشأ الملوك السعديون كثيرا من الكراسي العلمية بمختلف المساجد التي كان يتم التدريس بها كمسجد القرويين، وجامع الأندلس بفاس، وجامع الشرفاء، وجامع دكالة بمراكش، والجامع الكبير بتارودانت، وخصصوا أوقافا لتغطية مصاريف تلك الكراسي وأجور المدرسين عليها[3].

كان أبو العباس أحمد بن الزموري من العلماء المرموقين في عهده، فكانت له عدة كراسي من بينها كرسي التفسير بجامع الأندلس، يقرأ فيه غداة الصباح وكان التفسير الذي يقرأه تفسير الإمام فخر لكون الحبس عليه، كما كان له كرسي بجامع القروين يقع خلف ظهر الصومعة، إلا أنه ولاه لتلميذه علي بن عبد الرحمان السلامي، كما كان بيده كرسي المرادي بمدرسة العطارين بعد صلاة العصر، و كان ابن سودة الحمري من بين العلماء الذين توزعوا الكراسي التي كانت للفقيه أحمد المنجور بعد وفاته ومن بين العلماء الذين توزعوا الكراسي القاضي عبد العزيز الواحد الحميدي، أبو قاسم ابن سودة المري، أبو القاسم بنو ابن أبي النعيم[4].

أما عن مظاهر تجديد التعليم في المادة المدروسة والطريقة المتبعة فنحن نعلم أن المادة التعليمية كانت فيما سبق حسبما تؤخذ من الفهارس وكتب التراجم تكاد تقتصر على النحو والفقه، يدرسان

---

[1]- محمد الأخضر السربون، **الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، دار الرشاد الحديثة**، الدار البيضاء، ص. 57.

[2]- محمد الأمين ومحمد علي الرحماني، المرجع السابق، ص. 207 .

[3]- لحسن الأيوبي، المرجع السابق، ص. 76 .

[4]- سعيد بوركبة، المرجع السابق ، ص. 122 .

في مختصرات وشروح متأخرة أهمها مختصر الشيخ خليل، ونظرا لعوامل كثيرة لا يتسع المجال لبسطها، توسع نطاق المواد المدروسة بدخول المعقولات من حساب وهندسة ومنطق وكلام وبلاغة.

بدأ ذلك بفاس مع العالمين الكبيرين محمد ابن الغازي ومحمد الياستينس اللذين اشتغلا بتلقين هذه المواد، وتعزز هذا الاتجاه العقلي في الدراسة بالاقبال على العلوم التجريبية في مراكش إذ كان أبو القاسم الوزير الغساني يدرس الأعشاب وتركيب الأدوية، فتكونت هناك مدرسة طبية على يده[1].

ومن مظاهر تجديد التعليم في هذا العصر أيضا اختيار الكتب الأصلية حتى في النحو والأدب والفقه فلم يعد الناس يقتصرون على المختصرات الضعيفة، بل بدءوا يرجعون إلى الأمهات، ظل كتاب السيبوية الذي طال به العهد في أيام عبد الرحمان المكودي في أوائل الدولة المرينية وانتشر هذا الكتاب حتى في بعض المراكز القروية مثل آيت طالب والزاوية الدلائية، والفقه أخذ الناس يدرسونه إلى جانب مختصر خليل ومختصر ابن حاجب ومدونة سحنون الكتاب الأصلي للمذهب المالكي[(2)].

بالإضافة الى هذا دخول عناصر جديدة إلى المغرب لاسيما من الأندلس بعد سقوط غرناطة وذلك بعد عملية الطرد النهائي في أوائل القرن 16م، كما دخل علماء الى المغرب الأقصى من المغربين الأوسط والأدنى على إثر قدوم الأتراك وتحول هذه البلاد إلى أيالات عثمانية، فجاء العلماء من تلمسان ووهران والجزائر وبجاية وقسنطينة وتونس، وأصبحوا يدرسون بمختلف الأقاليم كجامع القرويين وغيره.

وهكذا أصبحت مظاهر تجديد التعليم في هذا العهد تشمل الحواضر والبوادي بعدما كانت قاصرة على كبريات المدن فيما سبق[3].

وكانت الوراقة من بين الجهات التي استفادت نسبيا من هذا الإصلاح الجديد فانبعثت أمجادها الغابرة وابتكرت فيها جملة من الأساليب المستجدة، وهكذا أنشئ في المغرب ولأول مرة شبه مدرسة

[1]- محمد العبادي، **محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني** ، مطبعة فضالة المحمدية، الدار البيضاء، ص. 42 .

[2]- نفسه، ص. 42 .

[3] - نفسه، ص. 43 .

لتلقين الكتابة على حدة، يتعلق الأمر بإنشاء درس لتعليم الخط الذي أنشئ بجامع الأشراف في مراكش وهو في الغالب من عمل المنصور الذهبي، وقد أحدثته كتجربة أولى قابلة لانتشارها في جهات أخرى من المغرب في حياته، وبعدها، وغير أن مجريات الأحداث بالبلاد قضت على هذه المحاولة في المهد حيث لم ينقل فيما وقفت عليه شيوع هذا العمل في جهة أخرى أو فترة تالية[1].

كما تمثل اهتمام السعديين بالجانب الثقافي في اهتمام ملوكهم وأمرائهم بالمكتبات العامة وإغنائها بالمصنفات في مختلف العلوم والفنون، فعملوا على إحياء المكتبات القديمة وتنشيطها وإنعاشها بالمزيد من الكتب، فأضافوا إلى مكتبة القرويين جناحا جديدا إلى جانب الجناح المريني القديم، وجددوا حيوية مكتبة الجامع الأعظم بمكناس كما أسسوا مكتبات جديدة .

ففي مدينة تارودانت أسس محمد المهدي مكتبة الجامع الكبير، وفي مدينة مراكش أسس عبد الله الغالب مكتبة الحرم العباسي، وأسست أم منصور الحرة مسعودة الوزكيتية مكتبة بالجامع الذي شيدته بباب دكالة بمراكش[2].

وتعظيما من المولى أحمد المنصور للعلم ورجاله وطلبته كان يحضر مجالس الدراسة بالقرويين عند حضوره إلى فاس ويكرم القائمين على ذلك[3]، ويتاحفهم بهداياه وطرقه إلى منازلهم وكل ذلك إجلالا للعلم ومحبته في أهل الخير وتوددا لأهل الدين، وأما إحسانه أيده الله إلى من دون الطبقة من طلبة العلم وإقباله على كل صنف منهم وتضعيف الجرايات لهم وإيثار المجتهد وذوي الفهم بمزيد من العناية والإقبال، فعناية أشرقت على جميع العلم أنوارها وعمت كافتهم حدتها حتى لقت تنافس الناس في هذا العهد من أجل ذلك في اقتناء العلم والاحتراف بصناعته الشريفة، واعتزاز أهله وسعة أرزاقهم

[1] – محمد المنوني، **تاريخ الوراقة المخزنية صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة** ، ط1، مركز ودود للمخطوطات، 1991، ص. 75 .

[2] – لحسن الأيوبي، المرجع السابق، ص. 76 .

[3] – عبد الكريم كريم، المرجع السابق ، ص. 313 .

حتى كثر حاملوه، فتعددت المشايخ وكثر التلميذ ونبع التأليف والتصنيف، حسبما يأتي بسط ذلك في محله وكل ذلك بعناية أمير المؤمنين أيده الله وشريف همته وصالح نيته كتب الله له أجر ذلك[1].

لكن بعد وفاة المنصور عرف المغرب أزمة سياسية واجتماعية تمثلت في انتشار وباء عم سهل المغرب وجبله حتى أفنى أكثر الخلق وكان من نتائجه موت السلطان، ومن هنا بدأ الصراع بين أبنائه على الحكم[2].

وما نلاحظه بعد وفاته أن الحركة الفكرية بالمغرب شهدت فتورا كبيرا لاسيما عندما أراد السلطان المأمون ابن المنصور من العلماء أن يوافقوا على احتلال العدو بمدينة العرائش فلم يرتضوا ذلك وخرج الكثير منهم فارين بدينهم إلى البوادي، فكان لذلك من التأثير السيء على الأوساط العلمية في المدن المغربية، وخصوصا فاس مما لا يخفى، ولكن من الأنصاف الخفية أن ظهرت الزاوية الدلائية في ذلك الحين فكأنما بعثها الله لحفظ تراث العلوم والآداب، الذي كاد أن يضيع فقامت عليه خير قيام، وما هي إلا مدة قليلة حتى صارت مركزا مهما لنشر الثقافة بين قبائل المغرب ومأزرا حصينا للعلوم الإسلامية في البلاد، وقد تخرج فيها عددا لا يحصى من العلماء الفطاحل والأدباء الأماثل يكفي أن نذكر منهم علامة المغرب في هذا العصر أبا علي اليوسي[3].

والواقع أنه لو لم يقضي عليها المولى الرشيد ذلك القضاء المبرم، لكان للمعارف اليوم بالمغرب وخصوصا القبائل شأن غير هذا الشأن، ولكن ما يشفع للمولى الرشيد هو أن بعد تخريب الزاوية نقل أهل العلم من رجالها مكرمين إلى فاس، حيث عكفوا على التعليم والتذكير من غير خوف ولا نكير

[1] – أبي فارس عبد العزيز الفشتالي ، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا** ، تح: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ص. 225 .

[2] – عبد الكبير العلوي المدغري، **الفقيه أبو علي اليوسي نموذج من الفكر المغربي في فجر الدولة العلوية**، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1989، ص. 73 .

[3] – عبد الله كنون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ج1، ط2، ص. 247 .

وكان كثيرا ما يتعدهم ببره ولطفه بهم، بل كان منهم من جلسائه، وخواص أهل حضرته وهو العلامة أبو عبد الله المرابط من بيته في النحو واللغة[1].

ومن الواضح إذن أن الفكر المغربي في هذا العهد كان يمر بمرحلة اضطراب، وتشتت، وكان يعرف في نفس الوقت لا مركزية وسعت من آفاقه وأبعاده وأرفدت شرايينه بدماء جديدة قوت كيانه الذي كان على وشك الانهيار[2].

ورغم كل ذلك الا أنه لم تمنع هذه الاضطرابات أواخر العهد السعدي وبداية العهد العلوي من وجود حركة علمية بحيث امتاز هذا العهد بمجموعة من التحولات الفكرية والاجتماعية والثقافية، أسست لما يسمى العصر الحديث بالمغرب الاقصى بكل مظاهره وتجلياته.

[1]- عبد الله كنون، المرجع السابق، ص. 274 .

[2]- عباس الجراري. **عبقرية اليوسي**، ط1، دار الثقافة ، الدار البيضاء، 1981، ص. 39 .

الفصل الأول

عوامل تطور التعليم في المغرب الأقصى في العهد العلوي

المبحث الأول: تشجيع السلاطين للعلم والعلماء

المبحث الثاني: مساهمة الرحلات

المبحث الثالث: فضل العلماء وإسهاماتهم .

إن تطور التعليم في أية دولة، مهما كانت المرحلة الزمنية يكون دائما مرتبطا بوجود مجموعة من العوامل المحفزة التي تساعد على ترقية هذا الجانب المهم في تاريخ الدول والأمم، فلقد برزت مجموعة من العوامل، منذ نشأة الدولة العلوية والتي ساهمت بشكل كبير في ترقية التعليم.

المبحث الأول: تشجيع السلاطين للعلم والعلماء

اهتم الملوك العلويون بالمغرب الأقصى، بالعلم والعلم والعلماء وطلابه، وشجعوا على طلبة من خلال الدعم المادي والمعنوي، بحيث صبوا اهتماماتهم وعناياتهم بالعلم وأهله، إذا كانت جهود السلاطين جهود عظيمة تستحق التقدير، والشواهد خير دليل على ذلك.

فالمولى محمد بن الشريف[1] مع قلة الوسائل التي كانت متوفرة لديه وضيق الرقعة الجغرافية التي كانت تحت حكمة، وكثرة خصومه التي فرضتها ظروف تأسيس الدولة، لم يكن غافلا عن واجبه إزاء العلماء وطلبة العلم، بل كان يشجعه ويسعى لتنشيط الحياة العلمية في إماراته بمختلف أنواع التشجيع[2].

أما المولى الرشيد[3] فقد عرف هو الآخر بمجالسته للعلماء ومباسطتهم وإعظامهم، إذ كان هذا المولى كسلفه المنصور السعدي نصيرا للأدب والعلوم، يحضر المجالس العلمية بالقرويين ويحب مناقشة

---

[1]- **المولى محمد بن الشريف** : هو السلطان الأجل أبو عبد الله مولاي محمد بن المولى الشريف الحسني السجلماسي عرف بالقوة والشجاعة، بويع بالخلافة ببلاد سجلماسة سنة 1641 ثم إرتدت عنه، توفي مقتولا في معركة ضد أخيه الرشيد سنة 1665، وهو أول من وضع الأساس السياسي لقيام الدولة العلوية. ينظر: محمد عبد السلام الضعيف، **تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)**، تح : أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط 1986، ص. 11.

[2]- عبد الكبير العلوي المدغري، المصدر السابق، ص. ص. 76 -77.

[3]- **المولى الرشيد** : ولد سنة 1051هـ، ابن المولى الشريف، بويع بعد وفاة أخيه محمد بن الشريف، وقد تم للمولى الرشيد توحيد المغرب تحت سلطة شرعية فهو يعتبر مؤسس الدولة العلوية، توفي بمراكش سنة 1087هـ، ينظر: محمد العربي الشاوش، **الدولة العلوية المغربية النشأة والاستقرار والاستمرار**، في مجلة دعوة الحق، العدد: 273، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية المشور السعيد، المغرب، ص. 3.

العلماء ويغدق عليهم من عطاياه، كما كان يشجعهم على التبحر بالمعرفة و تأليف الكتب فعرف كيف يخلق بينهم تنافسا، وكان من نتائجه تقوية الحركة الثقافية[1].

كان المولى الرشيد مهتما بالمساجد والمدارس حتى إنه كل ما حل ببلد لا يقدم أمر قبل تعاهد مساجده ومدارسه وتفقد أحواله، وربما حضر بها مجالس بعض كبار العلماء، وحضر مجلس أبي على اليوسي بالقرويين ودخل المدرسة، المصباحية بفاس على حين غفلة من أهلها فيتعرض له الإمام أبو علي اليوسي مع فقيه آخر فأعطى لكل منهما مائة مثقال، ومن تواضعه رحمه الله وتقديره للعلماء وإعلائه من شأن العلم ما ذكره أبو عبد الله محمد بن إكنسوس في الجيش العرمرم قال: "إن مولانا الرشيد استدعى ذات يوم أحد الفقهاء ليقرأ عليه، فامتنع ذلك الفقيه وقال: كما قال الإمام مالك رضي عنه: "العلم يؤتى ولا يأتي"[2].

وقال: الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه: لما رجع الرسول إلى مولانا الرشيد وأخبره بقول الفقيه وإمتناعه، قال: "صدق" فكان السلطان الرشيد يذهب لداره فيقرأ عليه. وهذه القصة تشير إلى أمرين هامين: أولهما حرص الرشيد على اكتساب العلم، وثانيهما حرمة العلم وجلاله لدى السلف من العلماء وجلالة ولدى السلطان[3].

وكان دخول المولى محمد بن عبد الله[4] يوما عظيما ومشهدا كريما فهو أمير المؤمنين وحامي الدين والهمة العالية، لازم مجالس العلم والتدريس حتى صار في زمنه الإمام رئيس ونشر روايات العلوم في الأفاق ورفع العلماء والأعيان[5].

---

[1]- محمد الأخضر السربون، المرجع السابق، ص. 77.

[2]- عبد الكبير العلوي المدغري، المرجع السابق، ص. 78.

[3]- نفسه، ص. 78.

[4]- **المولى محمد بن عبد الله** : ولد بمدينة مكناس سنة 1721م ولد في عصر جده المولى إسماعيل، بويع سنة 1757م ملكا للمغرب عرف عهدة نشاط في الحركة العلمية اشتهربالإصلاح في التعليم، توفي سنة 1789م. ينظر: أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى**، تح: عبد الكريم فيلالي، دار النشر للمعرفة، الرباط، 1991، ص ص. 76- 77.

[5]- عبد الكبير العلوي المدغري، المرجع السابق، ص. 78.

وكان رحمة الله كما قال أبو القاسم الزياني: "نسابة أخباريا حافظا لأيام العرب وواقائعها، حافظا للسير والحديث لا يجاري لأنه كان أيام خلافته بمراكش في حياة والده، ولع بسرد كتب التاريخ والأدب وفق ذلك كان يعقد مجلسه كل يوم الجمعة في جامع الكتبية بحضرة جلت العلماء الذين قربهم".

كما قال الزياني أيضا: "المولى محمد بن محمد عبد الله يعلي مجالسهم ويستخرج نفائسهم ويكثر جوائزهم ويقضي حوائجهم"[1].

عرف بعنايته بسرد الكتب وتحقيق معانيها ومن ذلك جلب من بلاد المشرق، كتب نفسية من كتب الحديث لم تكن بالمغرب مثل مسند الإمام أحمد ومسند أبي حنيفة[2]، فهو محبا للعلماء وأهل الخير مقربا لهم لا يغيبون عن مجلسه في أكثر الأوقات، فكان يحضر عنده جماعة من أعلام الوقف وأئمته، منهم الفقيه أبوعبد الله محمد بن الامام سيدي عبد الله والفقيه أبو عبد الله محمد الكامل الرشيدي، هؤلاء أهل مجلسه الذين كانوا يسردون له كتب الحديث ويأخذونمعانيها ويؤلفون له ما يستخرجه منها على مقتضى إشارته. ألف رحمة الله بالحديث بإعانة الفقهاء كتاب[3] "مساند الأئمة الأربعة[4].

ومن إنجازات أيضا هذا السلطان تجديد المدارس وتوسيع المساجد مثل مسجد الشربليين ومدرسة باب عجيسة، بحيث استكمل العلم في دولته، إذ سهل لطلابه أسبابهوفتح لهم أبوابه ورفع

[1]– أبو القاسم الزياني، المصدر السابق، ص. 18.

[2]– محمد بن محمد مصطفى المشرفي، **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها الغير متناهية**، ج2، ط1، تح: إدريس بوهليلة، دار ابي رقراق للطباعة والنشر، المملكة المغربية، 2005، ص. 20.

[3]– أبو العباس أحمد بن خالد الناصري **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة العلوية**، قس2، ج 8، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، الدار البيضاء، 1997، ص. 66.

[4]– **مساندة الأئمة الأربعة** : هو كتاب نفيس في مجلد ضخم، التزم فيه أن يخرج من الأحاديث ماإتفق على روايته الأئمة الأربعة.

عنهم بالبذل أستاره ومزق حجابه، ومما يعد طالعة النهضة العلمية في دولة هذا الإمام حثه العلماء على نشر العلم والتدريس والتأليف وبث روح المنافسة بينهم ذلك[1].

وهذا السلطان هو الذي بادر إلى وضع أول حجرة في أساس نظام العدلية وإصلاح الدروس بجامع القرويين، فكان رحمة الله يعلي من قيمة العلماء ويرفعهم إذ نجده يداعبهم ويباسطهم كأنه واحد منهم، وكان أبا الفيض حمدون بن الحاج السلمي المتوفي عام 1232هـ يوما في مجلسه الشريف مع جماعة من العلماء الملازمون لحضرته سنة 1199هـ، فأدبرت عليهم كؤوس من الأتاي وكان إسم الوصيف الذي يديرها ميمونا فناول أول الكأس للسلطان وكان عن يسار فقال له: إذ يقول السيد حمدون:

صددت الكأس يا ميمون عنا وكأن الكأس مجراه اليمينا

فقال السيد حمدون: نعم وأزيد عليه:

ولم تعمل بحكم الشرع فينا كما جلاه خير المرسلينا

رسول الله فيما صح عنــه من آنه قال ناولها يمينا[2]

[1]- عبد الرحمان بن زيدان، **الدرر الفاخرة بما آثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية**، الرباط، 1937، ص. ص. 60-72.

[2]- نفسه، ص.ص.72 .73.

أما المولى سليمان[1] فلقد عرف بعنايته وحبه للعلم والعلماء، وقربهم إليه فحضيوا بالدعم والتشجيع من قبله، فكان وحيد عصره في اعتناءباقتناء العلوم في المغرب وسعى في تقريب كل ما هو مطنب، وجمع أئمة الحديث من كل أعجمي ومعرب للمذاكرة والتفهم، إلى أن أبلغ الغاية في التقدم، وكان يزور جامع القرويين كل آونة، ويتردد على مجالس الدروس ويحضر فيها ويباحث ويبدي آرائه قبولا وردا ويحل عويص المشكلات[2]، كما كان يزور شيوخ العلم وقادته بدوره ويلي دعوة من استدعاه منهم ويعود مرضاهم، ويحضر جنائزهم، فقد زار المحدث أبا زكرياء يحي إبن المهدي إبن الطالب الشفشاوني أمام الضريح الإدريسي المتوفي في أواخر ذي الحجة 1229هـ[3].

وكان يحضر اختتام العلماء في جملة طلبة، إجلالا لقادة العلم وتعظيما لحملة الشريعة ففي 24 شعبان 1211هـ حضر ختم شيخه أبي المواهب الطيب بن عبد المجيد بن كيران تفسير القران الكريم بزاوية الشيخ قاسم بالحضر الفاسية.

حث على طلب العلم وشجع على تعاطيه، ونشره بالتدريس والتأليف في مختلف الفنون، وبالأخص علم القراءات والحديث، إذ كانت النهضة العلمية التي كانت في زمنه اشتهارهااشتهار شمس الظهيرة:

و كيف يصح في الأذهان شيء إذا أحتاج النهار إلى دليل[4]

---

[1]- **المولى سليمان:** هو أبو الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل السلطان العلوي الشريف العالم الصالح، ولد سنة 1767م، بويع سنة 1792م بمحضر من العلماء، عهده عهد الازدهار وتطور، توفي سنة 1822. ينظر:أبي القاسم بن أحمدبن علي بن إبراهيم الزياني، **جمهرة التيجان وفهرس الياقوت واللؤلؤ المرجان في ذكر ملوك وأشياخ السلطان المولى السليمان**، تح: عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003، ص. ص. 5-6-7.

[2]-محمد بن مصطفى المشرفي، المصدر السابق، ص. 42.

[3]- عبد الرحمان بن زيدان، المصدر السابق، ص. ص. 72- 73.

[4]- نفسه، ص 74 .

وفي عهد السلطان الأمجد الحسن الأول[1]اعتنى بوسائل العلم والعرفان،فقام بطبع أهم الكتب العلمية، وأسس الخزانات الثقافية وقام بتوزيعها على أهم المدن المغربية، ومن ذلك حضوره المجالس العلمية التي كانت تعقدباستمرار طيلة الأشهر الثلاثة رجب، شعبان، رمضان، فكان عهده بالرغم من وعورة المسالك، عهد ازدهار وتقدم، ومما يدل على تشجيع العلم وأهله ما قام به العاهل الأمجد المولى الحسن الأول من الكشف عن مواهب طلبة العلم من رعيته وتنظيم الاختبارات واللقاءات العلمية لمعرفة مستواهم العلمي من أجل تشجيعهم، والأخذ بأيديهم حتى يصلوا الى أرفع درجة وأرقى مكانة[2].

ومن إنجازات هذا المولى في مجال العلم إرساله بعثات من طلبة للدراسة، وأخذ المناهج الحديثة في شتى العلوم في كل من مصر ودول أوروبا ومن ذلك تشجيع العلم والعناية بشؤونهم، وقد كان يصدر تعليماته بين الحين والآخر بإجراء إختبارات متعلقة بحفظ كتاب الله الكريم وبعض الشؤون العلمية المقررة كمختصر خليل وغيره من اجل تكوين علماء وفقهاء بالمستوى المطلوب[3].

ومن مفاخر هذه الدولة أيضا واهتمامهم بالعلم وأهله، خصص الملوك العلوين أوقافا وأموالا طائلة لخدمة التعليم، إذ نجدهم يولون موضوع الوقف[4]بعناية فائقة، فأوقفوا من أموالهم وممتلكاتهم الخاصة لخدمة العلم وأهله، وخصصوا عطات سخية لإنفاقها وصرفها في مجال التعليم.

وهذه النماذج أظهرت كيفية اهتمام الملوك العلويين بالعلم وأهله، وهذا اعتراف بما صنعوا من أعمال صالحات مما يبقى أثره في التاريخ وعبر أجيال.

---

[1]- **الحسن الأول** : هو أمير المؤمنين الحسن بن محمد بن عبد الرحمان ولد عام 1247،بويع بعد وفاة والده بمراكش عام 1894م، وهو أحد سلاطين الدولة العلوية. ينظر: عبد الرحمان بن زيدان، المصدر السابق، ص.7.

[2]- محمد رياض، **شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي الصديقي وجهوده في العلم والإصلاح والوطنية**، ط1، نهج العيون، 2005، ص. 98.

[3]- نفسه، ص. 32.

[4]- **الوقف**: هو أن يتخلى الإنسان بمحض إرادته واختياره عن بعض أملاكه ويحبسها حبسا مؤيدا مع التصدق بمنفعتها على جهة بر لا تنقطع. ينظر: ماجدة مخلوف، **أوقاف نساء السلاطين العثمانيين**، ط 1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2006، ص8.

المبحث الثاني: مساهمة الرحلات :

شكلت الرحلة بالنسبة لمسلمي المغرب الإسلامي منذ فجر الدعوة الإسلامية وإشراق شمسها على رجوع هذا الجانب من العالم العربي الإسلامي هاجسا دائم الحضور ومطلبا قوي الإلحاح، ورغبته دقيقة في النفوس سرعان ما تعبر عن ذاتها[1].

باعتبارها الظاهرة التي تكشف عن قوة قريحة الطالب والمقياس الذي يبلور أهليته، " .... فإن من احتاج إلى العلم رحل إليه وطلبه" وقال صلى الله عليه وسلم "أطلبوا العلم ولو في الصين"، وهو خطاب للمتعلمين ولم يخاطب المعلمين أن يتحركوا ليؤخذ عنهم ... وطلب العلم إذ لم تكن معه قريحة وقادة لا ينتج وصاحب القريحة لا تتركه قريحته أن ينتظر من يأتيه ... فبالرحلة يعرف من فيه أهليه العلم فيلزم حقه"[2].

بحيث تعتبر الرحلة مصدرا متميزا لأنها تحتوي على مادة تاريخية غنية طافحة بالأحداث والوقائع والتجارب اليومية، لأنها تختلف إلى حد كبير عن الأدب والتاريخ والتقليدي في المغرب، تتميز عنه بصفة عامة على مستوى الموضوع وموقع مؤلفها اتجاه الأحداث التي يرويها واتجاه صانعيها هذه الملاحظات يمكن التوسع فيها عند الحاجة لإبراز حقائق تاريخية[3].

وهذه الرحلات قام بها علماء مغاربة أو غير مغاربة أومن رحل إلى المغرب أو رحل منه، تركوا لنا وصفا رائعا عن بعض ما اختص به المغرب من المعالم والأعراف والحالات الاجتماعية والثقافية مع تنظيرات ببعض ما زاروه من أقطار وما إتصلوا به من شخصيات علمية وأدبية[4].

---

[1]– أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، **الرحلة العياشية**، مج 1، ط 1، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القريشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي 2006، ص. 7.

[2]– عباس الجراري، المرجع السابق، ص. ص. 81– 82.

[3]– عبد الله كنون، **موسوعة رجال مشاهير رجال المغرب، مج 5**، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1997، ص. 7.

[4]–عبد العزيز بن عبد الله، **الرحلات من المغرب وإليه عبر تاريخ**، ط1، دار النشر للمعرفة، المغرب، 2001، ص. 11.

فالرحلة قد تكون لأجل التجوال أو سياحة أو طلب العلم، أو الحج إلى بيت الله الحرام وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيارة بيت المقدس، أو القيام بمهام السفارة بصفة رسمية بمعنى أنها تكون لغرض أو لعدة أغراض، فأكثر الرحلات هي الرحلات الحجازية لأداء فريضة الحج أما الرحلات الأخرى فهي أقل[1].

و لاشك أن الرحلات غنية بموضوعاتها، فالرحالة تحملوا عباء رحلاتهم كاملة من مال وجهد،وعليه فقد عدت جهدا ذاتيا واجتهاد شخصيا قائما على إبداعهم وفكرهم، وتأملاتهم وآرائهم وعلى ما أعجبوا به، وعلقوا عليه بالإيجاب أو السلب، فالرحالة أديب وجغرافي متنقل ومؤرخ وفقيه وعالم اجتماع وقد يطغى جانب على آخر بحسب ميل الرحالة[2].

وسنحاول ذكر بعض الرحلات المتنوعة التي كانت لها إسهامات وصدى في تنشيط الحركة الفكرية بالمغرب، ورفع المستوى الثقافي.

محمد بن أحمد بن مليح القيسي:

الشهير بالسراج والملقب بابن مليح المراكشي، سبب رحلته لأداء فريضة الحج، وتعد رحلته من الرحلات المغربية الغزيرة الفائدة المتضمنة للآيات القرآنية، والاحاديث النبوية، والأمثال المشهورة، والأبيات الشعرية، التي وقعت موقعها للدلالة على ما أراد قوله ووصفه وتوضيحه[3].

[1]- محمد لعميري وآخرون، **ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى اخرون القرن 19**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وحدة، ص. 118 .

[2]- **كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 11 و12 هـ**، در، تح،نق، عواطف بنت محمد بن يوسف نواب، دار الملك عبد العزيز، ص. 19 .

[3]- نفسه، ص. ص. 40. 43 .

محمد علي الرافعي اللخمي الاندلسي:

من فقهاء تطوان ولد 1640، في رحلته ظهر الرافعي دقيق الملاحظة والوصف حيث وصف بناء الكعبة المشرفة والمسجدين ألف الرافعي رحلته التي سماها "**المعارج المرقية في الرحلة المشرقية**" عام 1658 وقد خالف الرافعي الرحالة المغاربة، في سلوك طريق الحج البري إلى مصر، بل إنه ركب البحر من الجزائر إلى مصر، إذ تعتبر رحلته من الرحلات المغربية القيمة لما تحتويه من المعلومات تاريخية[1].

إدريس العبيد:

له ثلاث رحلات إلى المشرق، الأولى عام 1225هـ حيث وصف مضايقة الوهابين في زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، والثانية دخل خلالها الأزهر بالقاهرة عام 1236هـ، وأخذ عن علمائها والرحلة الثالثة إلى المشرق عام 1268هـ حيث وصف على ما طرأ على مصر وتركيا والحجاز[2].

أبي الفضل جعفر بن إدريس الكتاني:

رحلته "**الفتح المبين في وقائع الحج وزيارة النبي الأمي** "الشيخ الشهيرة ألفها في رحلة قريبة الأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد الكتاني إلى الحج لانهك ات في رفقته، وهي تقع في مجلد[3].

[1]-**كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 11 و12 هـ**، المصدر السابق ، ص. ص. 63- 65 .

[2]- عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق، ص. 22 .

[3]- عبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، ط1، دار الفكر للطباعة ونشر والتوزيع، لبنان،1997، ص. 252.

مولاي أحمد النميشي :

هو الشريف مولاي بن أحمد بن العلامة المدرس سيدي محمد فتحا، ولد عام 1308هـ عين ناظرا للأحباس، ارتحل إلى الديار المشرقية المقدسة حيث حج بيت الله الحرام وذلك عام 1351هـ، وقرأ بالمدينة المنورة على الشيخ صالح التونسي كتاب الأربعين النووية، وبدمشق المسجد الأموي درس على الشيخ بدر الدين الدمشقي[1].

حسن البغدادي :

أصله من الموصل، كان فقيها حنفيا طليعا في المعقولات، إستقر بمراكش 18 عاما حتى 1899م، تولى تدريس العلوم العقلية بها، كما قام بتدريس جمع الجوامع بالمدرسة اليوسفية بمراكش، كما قام بتدريس في الصويرة وسوس[2].

أحمد بن محمد الصقلي :

هو صوفي كبير جمع في طرابلس الغرب والجريد والحرمين عدد كبير من العلماء، لاسيما الصوفيين والطرقيين فمنهم من اتصل بهم في مصر، عبد المجيد الزيادي المغربي ومحمد بن سالم الحفناوي الشافعي، وكان لي الصقلي اتصالات كثيرة في المغرب أيضا[3].

[1]- محمد الفاطمي السلمي، **إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة علماء المغرب المعاصرين**، ط1، تق: عبد الله كنون،دار البيضاء، 1992، ص. 31.

[2]- إبراهيم حركات، **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال فرنين ونصف قبل الحماية**، ط2، دار الرشاد الحديثة، 1994، ص. 27.

[3]- نفسه، ص. 29.

محمد بن خليفة المدني:

رحل من المدينة سنة 1887م ودرس بالحجاز ومصر والجزائر،ثم قدم إلى المغرب سنة 1891م وأخذ من علماء الأسرة الكتانية وعلى رأسهم جعفر الكتاني، وتنقل بعد هذا إلى مراكش والصويرة وآسفي وأجاز بعض طلبتها، وجمع عدد كبير من كتب المخطوطة، ضاعت كلها بعد وفاته[1].

عمر بن حسن بن علي الحراق الحسني :

أديب من أهل مدينة شفشاون، رحل إلى المشرق وسمع من شيوخه فاستفاد وأفاد، تقلد الوزارة في عهد مولاي إسماعيل[2] له ديوان شعر[3].

الحسن بن مسعود اليوسي :

أحد الدارسين بالمشرق ويظهر بالرغم من مقاومة عدة أشهر بمصر،اكتفى غالبا بالاستماع إلى دروس أساتذتها، وكتب ولده عن رحلته التي لم يشر فيها إلى اتصالات والده العلمية، غير أن فقهاء مصر ألقوا عليه اسئلة أجاب عنها[4].

إدريس بن محمد الحفيدي بن إدريس السلاوي:

رحل إلى أوربا وإلى المشرق وصحب في الأولى السفير الحاج محمد الزيدي في العهد الحسني الى فرنسا وبلجيكا عام 1876م وقد سمي رحلته "**تحفة الأخبار بغرائب الأخبار**" وهي نسختان

---

[1]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص ص. 26،27.

[2]- المولى إسماعيل: هو المولى إسماعيل بن المولى الشريف بيعته سنة: 1082 وهو أحد سلاطين الدولة العلوية،توفي سنة 1149.

[3]- محمد الصغير اليفرني، **روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل الشريف**، ط2، تح: عبد الوهاب بن المنصور، المطبعة الملكية، الرباط 1995، ص 77 .

[4]- إبراهيم حركات، المرجع السابق،ج 3، ص.32.

صغرى وكبرى خصت الأخيرة بالرحلة إلى المشرق، مع أخبار عن الدولة العلوية بالمغرب له أيضا مقالات إقليدس في الهندسة[1].

أحمد بن محمد بن عبد القادر الكردودي :

له رحلة سماها "**التحفة المسنية للحضرة الحسنية في المملكة الأسبانيولية**" ألفها بأمر السلطان الحسن الأول مع القائد عبد الصادق بن أحمد الريفي عام 1884م، وقد كان عضوا في سفارة القائد المعطي بن عبد الكبير الشاوي المزامري لفرنسا وسفارة الطريسالى بابا ليون الثالث عشر بإيطاليا عام 1888م[2].

أبي العباس أحمد المهدي الغزال:

اسم رحلته "**نتيجة الاجتهاد والمهادئة والجهاد**" التي قام بها إلى إسبانيا موفدا من قبل سيدي محمد بن محمد بن عبد الله، من أجل تبادل الأسرى وفيها تناول وصف مشاهداته وسرد تحركاته[3].

رحلة أبي سالم العياشي :

كان مسار الرحلة العياشية نحو الديار المقدسة بحيث تميزت هذه الرحلة انسجاما مع شخصية مؤلفها واتساقا مع خصائص عصرها، بنشاط علمي متميزا، فكانت كما وصفها صاحبها ديوان علم لا كتاب سمر وفكاهة، ويكفي أنها انفردت دون سواها من الكتب والرحلات وامهات المصادر بإيراد جملة من النصوص والرسائل والإجازات والنقول، كما أنها تترجم لعدد من الأعلام[4].

[1]- عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق،ص. 22.

[2]- نفسه، ص. 19.

[3] محمد لعميري وآخرون، المرجع السابق،ص. 19.

[4] أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، المصدر السابق، ص. ص.12 .13.

هذه النماذج من الرحلات فضلا عن قيمتها الأدبية، لها قيمة تاريخية لما تلقيته من أضواء كاشفة على ذلك العصر وخصوصا ما يتعلق بالأقطار الأوربية الإسلامية.

فنجد الهجرة الخارجة من المغرب أو إليه ساعدت من تنشيط الحركة العلمية، فالعلماء الذين هاجروا إلى الحجاز ونجدهم ناقلين روائع الفكر الإسلامي الحجازي، أما الرحلات الموجهة إلى الدولة الأجنبية هي الاخرى ساهمت في دخول علوم جديدة زادت من الإنتاج الثقافي المغربي.

المبحث الثالث: فضل العلماء واسهاماتهم:

أنجبت المغرب نخبة من العلماء والمفكرين، الذين ذاع صيتهم في كل أرجاء المغرب، فمنهم من استقر بالمنطقة وكون بها مدرسة لتلقين العلوم الشرعية واللغوية والعقلية، ومنهم من هاجر إلى المدن المغربية الكبرى حيث المستوى العلمي أكثر كثافة وتقدما، ومنهم من هاجر إلى خارج حدود المغرب من أجل الدراسة أو مهمات أخرى مثل الحج، الذي أتاح لهم فرصة الالتقاء بأشهر علماء المشرق والأخذ عنهم، وكل هذه الأطراف عبرت عن طاقتها الإبداعية في التأليف والتدريس.

برز في عهد العلوين علماء امتلكوا إلى جانب ثقافتهم المتينة واطلاعهم الواسع، وعيا قويا مكنهم من التفاعل مع قضايا عصرهم ومعالجتها بروية وحكمة متطلعين في حدود إدراكهم وإمكانيتهم إلى الإصلاح والتجديد[1].

فصل اليوسي القول عن ملامح الإخلاص في كتاب "**القانون**" وحدد أبعاده عن العالم الملتزم صاحب الرسالة في "أمور تقوى الله تعالى ودوام خوفه ومراقبته في جميع حركاته وفي سره وفي علانيته... ومنها أن يبث علمه للناس ويودعه صدر الرجال، فبذلك تنبت شجرة العلم وتتصل مادته وذلك بالتدريس، والتلقين والافتاء والتصنيف"[2].

كان اليوسي يلزم العلماء بهذا النوع من الانضباط، لأنه يريدهم أن يكونوا في موقفهم الطبيعي الذي يخولهم مكانة يقتربون بها من الأنبياء، ويتفوقون على ذوي أمر الحكام، فقد كان في بني إسرائيل يكون الأمير على يد نبي، فالنبي يأمر والأمير ينفذ، ولما كانت هذه الأمة المرحومة انقطعت النبوة بنبيها خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم فلم يبق إلا العلماء، يقتدى بهم، قال صلى الله عليه وسلم

[1]- الحسن الأيوبي، المرجع السابق ، ص. 86.

[2]- عباس الجراري، المرجع السابق، ص ص.86- 87.

«علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل، فكان حقا على خلفاء هذه الأمة أن يتبعوا العلماء ويتصرفوا على أيديهم أخذا وعطاء»[1].

وسنحاول ذكر بعض العلماء الذين كانت لهم إسهامات في الإنتاج الفكري وتطور التعليمي:

أبو علي الحسن اليومي:

لازم الزاوية الدلائية مدة 20 عاما، ولم يغادر هذه الزاوية إلا بعد القضاء عليها من طرف المولى الرشيد، وكان عليه أن يقصد فاس، بأمرمن السلطان المذكور ووقع عليه إقبال من طرف الطلبة والأساتذة على السواء، وتأخر عن حضور مجالسه العلمية بعض المنافسين من حساده وكان المولى الرشيد يحضر مجالسه العلمية[2].

محمد التهامي بن محمد السوري:

وكانت له رحمه الله مجالس بالقرويين يُقرئ فيه الطلبة وينفع به فيها، وله شرح أرجوزة شيخه، الشيخ السيد الطيب في الإشعارات وقد وجد بأيدي الطلبة يقرؤونه[3].

سيدي المدني بن عبد الكريم الفيلالي:

كان رحمه الله فقيها محدثا، نحويا علامة مشارك،ولي القضاء بحضرة مراكش مدّةً ودرّس الحديث والفقه وغيرها وانتفع به جماعة من الطلبة[4].

---

[1]- عباس الجراري ، المرجع السابق، ص .ص . 87. 88.

[2]- زنقة غاندي، **الثقافة المغربية**،في مجلة دعوة الحق، العدد: 1393، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط، المغرب، 1973.ص.ص.54.55.

[3]- محمد بن جعفر بن ادريس الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج3**، تح: محمد حمزة ابن علي الكتاني، الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس، د. ت، ص.09.

[4]- نفسه، ص. 10.

عبد الكريم بن علي اليارغي:

كان رحمه الله فقيها، عالما مدرسا مفتيا متفننا في علوم شتى من فقه وحديث وتفسير ولغة ونحو وبيان، وغير ذلك حافظا داركا محصلا نفاعا لطلبة العلم محققا للمسائل ومحررا لها من أهل الحزمة والصلابة في الدين[1].

محمد الصغير الإفراني:

تلقى الأفراني بداية تعليمه بمراكش ومنهاارتحل لطلب العلم بفاس وأخذ بها عن جماعة من علمائها، ثم عاد إلى مراكش سنة 1717م حيث نجده متعاطيا للتدريس متصدرا لإقراء التفسير وصحيح البخاري، وكان مجلسه حافلا متميزا بكثرة البحث والجدال، وقد استكثر عليه الطلبة وكثرة المقبلون على دروسه[2].

محمد بن أحمد الغازي:

كان رحمه الله من مشاهير العلماء العاملين والأئمة المهتدين، تولى رئاسة العلم والإفتاء بمدينة فاس، والإمامة بجامع القرويين وكان رحمه الله غزير العلم ،كثير الرواية[3].

[1]- محمد بن جعفر بن ادريس الكتاني، ج1، المصدر السابق، ص. 129.

[2]- محمد الصغير الإفراني ، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن العادي**، ط1 تح : عبد اللطيف الشاذلي ، 1998، ص . 80.

[3]- محمد ابن عسكر الحسني الشفشاوني، **الدوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، ط2، تح: محمد حجي، دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م، ص. 46.

محمد بن أبي قاسم بن محمد بن قاسم بن أبي العافية الشهير بابن القاضي المكناسي :

فقيه عالم علامة قدوة محصل حيسوبي فرضي مشارك رحالة كان أوحد عصره في علم الحساب والفرائض والتوقيت والتنجيم وغير ذلك وله مؤلفات في الحساب والفرائض[1].

محمد بن عبد السلام البيجري:

فقيه وأديب مشارك خطيب، مدرس نفاع، له مشاركة تامة في المعقول والمنقول، تولى القضاء بالحضرة المكانسية والإمامة والخطبة بالقصبة السلطانية الإسماعيلية، وله مؤلفات كثيرة[2].

فالمتتبع لسير الدراسة والنشاط العلمي على عهد الدولة العلوية سيجد أن الحركة الفكرية والنشاط التعليمي عرف ازدهار في مختلف فنون المعرفة، من قراءات وتفسير وحديث وفقه وأصول ومنطق وحساب وتاريخ وأدب، .....إلخ.

ويلاحظ أن المدرس الواحد كان يدرس عدة فنون، وأن الطلبة كانوا يواظبون على الحضور ويلاحقون المدرسين ويطلبون منهم أن يدرسوهم بعض الكتب العلمية أو المواد التي يرغبون في دراستها[3].

[1]- ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد السجلماسي، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج4**، ط1 ، تح : علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 2008. ص. 3.

[2]- نفسه، ص.170.

[3]- مركز الإصدارات الوطنية ، **المغرب الأقصى في عهد المولى سليمان** ، جامعة مولاي علي الشريف الخريطة الدورة 4، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الرباط، ص.212.

ومن ذلك يذكر الضعيف: أن جماعة من الطلبة قصدوا بيت الشيخ عبد القادر بن شقرون[1] في حالة غضب مما بلغه أن الطلبة تكلموا بالسوء في البلدين[2] فقال لهم :جعلتمونا يهودا فلم أتيتم إلينا؟

قال الضعيف وسد الباب في وجودهم ودخل الدار، حتى أتى السيد أبو بكر فرغب فيهم وأخذ بخاطره ونرى بعد هذا أن الشيخ بن شقرون عنا عن الطلبة واستأنف دروسه معهم بل كان يبالغ في إكرامهم ويدعوهم إلى منزله[3].

وفي إطار السعي وراء تحقيق الأمن والاستقرار والنهوض بالتعليم وتطويره، نجد العلماء عالجوا العلاقات داخل المؤسسات التعليمية بين المعلمين والمتعلمين وأولياء أمورهم، ونذكر من مصنفاتهم في هذا الباب كتاب "**جامع الإختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وأباء الصبيان**" لأحمد بن أبي جمعة المقراني، اهتم بتوجيه وتصحيح ما كان معمولا به في المجتمع المغربي في مجال تعليم الأطفال من أمور تتعلق بأجرة المعلم وطرق تأديب المتعلمين وتنظيم فترات عطلهم وتدريسهم[4].

كما تناولت اهتماماتهم في المجال الاجتماعي، تصحيح اعتقادات الناس وتقوية سلوكهم وفق مبادئ الشريعة الإسلامية ومثلها العليا، فانتقدوا تهاون الناس في أمور دينهم وانحرافهم عنه إلى التشبث بالبدع والعادات الفاسدة وارتكابهم المحرمات، ولم يقتصرفي هذا المجال على الإنكار والانتقاد بل عملوا على الإرشاد والتوعية والتوجيه[5]، وتهذيب الأخلاق وإعادة التوازن إلى نفس الإنسان

[1]- **عبد القادر بن شقرون**: من كبار علماء المغرب أصله من اليهود وهو من العلماء الذين أسلموا بعد طردهم من الأندلس، دخل المغرب واستقر بفاس.

[2]- **البلديّن**: كان يطلق على اليهود الذين أسلموا ودخلوا المغرب بعد طردهم من الأندلس أواخر العهد الوطاسي، واستقر كثير منهم بفاس كان لهم حي خاص يعرف بالبليدة نسبة إلى البلديين، وكان منهم عدد كبير من العلماء كالشيخ عبد القادر بن شقرون وغيره من علماء وفقهاء. ينظر: مركز الإصدارات الوطنية(المرجع السابق)، ص .13

[3]-محمد بن عبد السلام الضعيف، المصدر السابق، ص: 298.

[4]- لحسن الأيوبي، المرجع السابق، ص.86.

[5]- نفسه ، ص. ص.86- 87.

المغربي، وينبغي أن نشيد بما بذله رجال التصوف من جهود تربوية هامة في هذا المجال[1]، كما عمل العلماء على حفظ الانسجام بين العناصر المكونة للمجتمع المغربي في إطار ما أقرته الشريعة وأمرت به، وحاربوا الاتجاهات والنزعات المتطرفة التي تهدد كيان المجتمع بالتفرقة والتمزق[2].

إن من مظاهر أهمية جماعة العلماء هو التوعية والتأطير الديني والاجتماعي فكان القاضي في آن واحد خطيبا وإماما في المسجد ومدرسا للعلم في المساجد والزوايا والمدارس، ناشرا للثقافة الوطنية، وقد يقوم العالم بهذه الأدوار دون ممارسة القضاء، ويظهر الدور الاجتماعي للعلماء أيضا في احتياج المجتمع إليهم في المعاملات الجارية بين الناس كالزواج والطلاق والمعاملات التجارية والإرثية...إلخ، وأثر العلماء تأثيرا كبيرا على تلامذتهم فمنهم من أصبح بدوره من أكبر العلماء، ومنهم من تلقى العلم من الشرق، ومنهم من توجه إلى القرويين للدراسة، وهذا من أجل النهوض بالعلوم والدفع بالحركة العلمية[3].

فالرفع بالمستوى التعليمي يتطلب رصد إمكانيات مادية مثل ما وقع بفاس وجدت المدارس والمساجد بكثرة، وكذلك سكن الطلبة والتشجيعات المالية وإيجاد الأطر الكافية ذات الكفاءة العالية لتوجيه التعليم توجه صحيح بالإضافة إلى تطور التعليم والمواد المدروسة[4].

عرف المغرب في هذه الفترة نهضة علمية شاملة، تجلت في كثرة حلقات الدروس وإقبال المتعلمين عليها، وتفاني العلماء في تلقين علومهم للطلبة وتبادلها فيما بينهم، وكذا ازدهار حركة التأليف ونشر إنتاجها خاصة بعد ظهور المطبعة الحجرية بفاس على عهد المولى عبد الرحمن والتي

[1]- لحسن الأيوبي، المرجع السابق، ص.87.

[2]- نفسه ص.86.

[3]- عبد الاله الفاسي، **مدينة الرباط وأعيانها في بداية القرن 19 وبداية القرن العشرين 1830-1912**، منشورات جمعية الرباط، د.ت، ص. ص. 164- 167.

[4]- محمد لعميري وآخرون، المرجع السابق ، ص. 72.

عملت على تخريج كتب العلم القيمة وانتشارها على يد علماء كانوا يشرفون بأنفسهم على عملية طبع الكتب[1].

أجمع الكثير من مؤرخي الدولة العلوية بأنه لم تشهد بلاد المغرب من الازدهار الفكري والعلمي والأدبي، ماشهدته على عهد الدولة العلوية فيما بلغوه في هذه المجالات فصار سنة الحياة أن توسم دولة الشرفاء بدولة العلم والعلماء وعلى امتداد أزمتها[2].

فالعلماء واكبوا ركب النهضة العلمية وعملوا على تكريس عواملها ونشر أسبابها، وذلك من خلال أراءهم السديدة وتوجيهاتهم القيمة والاقتباس من نورهم الساطع، فخصصوا وقتهم الثمين في جلسات علمية قيمة ممتعة جادوا من خلالها على الطلبة من بحورهم الزاخرة ومعرفتهم الواسعة، وطبعوا الحياة الثقافية، ولم تتوقف الحركة العلمية بدخول الحماية بل استمرت على يد علماء وكانت لهم مواقف عبرت عن دفاعهم عن حقوق الأمة والوحدة المغربية[3].

[1]– عبد الله بن الطيب الوزاني الحسني . المصدر السابق . ص.13.

[2]– محمد لعميري وآخرون، المرجع السابق ، ص. 129.

[3]– آسية الهاشمي بلغيثي، **المجالس السلطانية العلمية على عهد الدولة العلوية الشريفة**، ج1، مطبعة فضالة، المغرب، 1994م، ص. 13.

الفصل الثاني

واقع التعليم في المغرب الأقصى في العهد العلوي

المبحث الأول: نظام التعليم

1- مراحل التعليم

2- طريقة التدريس

3- تعليم البنات

المبحث الثاني: مراكز التعليم

1- الكتاتيب

2- المساجد

3- الزوايا

4- المدارس

المبحث الثالث: المواد المدروسة

لعب التعليم دورا أساسيا في تطوير المجتمعات وتحضرها، فقد كان واقع التعليم في الدولة العلوية مزدهرا فمس مختلف فئات المجتمع، وخضع لنظام محدد ومراكز معينة يتم التدريس فيها مختلف المواد التي كانت تمثل برنامج التعليم الذي كان يدرس في الدولة العلوية، وبالتالي إن هذا الواقع التعليمي كان يفي بالتطلعات التي يتوق إليها طلاب العلم المنتشرون بمختلف جهات المغرب في عهد الدولة العلوية

المبحث الأول: نظام التعليم

1- مراحل التعليم

أ- التعليم الأولي:تبدأ هذه المرحلة في التعليم بـ"الكتّاب" الملحقة غالبا بالمسجد وذلك بحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة[1]، كما يتعلم التلميذ تحسين الخط وزخرفة الألواح والألوان ويتعلم أيضا الألحان بالتجويد بالإضافة إلى ذلك يتعلم كيفية الوضوء والصلاة[2].

والكُتّاب سواء كان في المدينة أو الريف هو بمثابة المدرسة يلتحق بها الولد أو البنت في السن الرابعة أو الخامسة من عمره ولايغادرها إلى سن الثانية عشر وحتى الثامن عشر أحيانا[3]، أما برنامج التعليم فيتلخص هذا البرنامج بحفظ كتاب الله يعتمد على الذاكرة، فإذا حفظ القرآن ينتقل إلى المرحلة الثانية نوهي مرحلة التعليم المتوسط.

ب- التعليم المتوسط: يتوجه الطالب إلى الجوامع أو المساجد أو الزوايا التي يتلقى فيها العلوم اللغوية والفقهية، ويركز في هذه المرحلة على تحصيل المعارف الأساسية وحفظ المتون وفي مرحلة تحصيل الروايات يحفظون بعض النصوص الأساسية في مختلف تلك العلوم وهي التي تعرف بالأمهات[4].

---

[1]- محمد المنصور،**المغرب قبل الاستعمار**، ط1، تر: محمد حبيدة، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، 2006،ص.247.

[2]- محمد العربي معريش،**المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول**، ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان،1989،ص.157.

[3]- نفسه، ص. 156.

[4]- عبد العزيز السعود، **تطوان في القرن الثامن عشر**، ط1، منشورات جمعية تطوان أسمير، تطوان، 2007، ص.284.

ج- التعليم العالي: تمثله جامعة القرويين، وهي تلك المدرسة الفكرية العتيقة التي تعبر في الوعي الشعبي، وعند المثقفين المغاربة أقدم جامعة في العالم الإسلامي[1].

لعبت جامعة القرويين الملحقة بالمسجد دورا هاما في نشر المعرفة والمحافظة عليها، فقد كان الطلبة الوافدون إليها يأتون من جهات مختلفة من المغرب وكانوا ينتمون لفئات عديدة[2].

كان العمل بالسنة الدراسية غير معروف فجل الطلبة الجدد يأتون في الخريف، لكن أي شيء لم يمنعهم مبدئيا من المجيءفي أي وقت من السنة، ولم يكونوا يطالبون بأي تسجيل لأن التعليم مجاني وإنما يتقدمون فقط إلى الأساتذة الذين كانوا يريدون الحضور في مجالسهم[3].

أما الدروس اليومية التي تنقسم إلى فترتين صباحية ومسائية فتبدأ بجلوس الطلبة حول الاساتذة وشروع الأخير في قراءة نصوص من كتاب مقرر ثم قيامه بشرحها في نفس الوقت يكتفي الطلبة بالاستماع[4].

ومن بين المواد التي كانت تدرس نجد مواد الفقه الإسلامي والعروض والرياضيات والحساب والأصول والصرف وغيرها من المواد ودراستها[5]، فكان التلقين في المستوى العالي يجمع بين شتات من المعارف والعلوم التي يقوم الطالب بتحصيلها ودراستها في هذه المرحلة[6].

---

[1]- محمد العيادي، المرجع السابق، ص.15.

[2]- محمد العربي معريش، المرجع السابق، ص ص.163، 164.

[3]- روجي لوطورنو، **فاس قبل الحماية**، ج2،تر: محمد حجي ،محمد الأخضر، دارالغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1992، ص. 657.

[4]- محمد العربي معريش،المرجع السابق، ص. 165.

[5]- مفيد الزيدي، **ملامح النهضة التعليمية منذ عهد المولى الرشيد غلى السلطان سيدي محمد بن عبد الله**، في مجلة دعوة الحق العدد 326، ، مارس 1997، ص.02.

[6]- مركز الإصدارات الوطنية، المرجع السابق، ص.179.

2- طرق التدريس:

لقد قام التعليم بصفة رئيسية على الحفظ الإجتراري لعدد معين من المتون التي صيغ الكثير منها في شكل منظومات لتسهيل عملية استظهارها وكانت طريقة التدريس الأكثر شيوعا تقضي بقراءة النص للطلبة وشرحه والتعليق عليه[1]، لكنها تختلف باختلاف طبقات المدرسين والطلبة وتعتمد في الغالب على أسلوبين:

طريقة شرح المتون شرحا مختصرا مع الإكثار من المقروء وتسمح بقراءة كثير من الكتب الكبيرة مرارا عديدة، وقد اعتمد الكثير من الفقهاء على طريقة التحقيق والتدقيق والإكثار من النقول وهي لا تسمح بختم الكتب الكبيرة في مدة قصيرة[2].

وكان من عادة الأساتذة كلما انهو تدريس مؤلف معين أعادوا مرة أخرى، وهكذا كان بعضهم يعيد تدريس مؤلف واحد عشرات المرات بل مائة مرة وأكثر وهذا ما قاله القادري في ترجمته لمحمد التادلي الدلائي"اقرأ ألفية ابن مالك نحو مائة مرة ومقامات الحريري نحو ثلاثين ختمة[3].

فقد كان الطالب يقضي حياته الدراسية داخل حلقة مفرغة في حفظ المتون وشرحها وذلك لم يساهم إلا قليلا في تحسين المعارف المادية للطلبة ويحد من نشاطهم الفكري[4].

أما الكتب المتداولة في التدريس فهي مختصرات مركزة كانت تتطلب أساسا الحفظ والتلقين[5] لا تخلو من الغموض والتعقيد كما أن بعضها يمزج الواقع بالخرافة[6] قاصدة من ذلك إفشاء أدمغة مسجلة حافظة أكثر من حرصها على إعداد فكر التلميذ للبحث والابتكار والتجديد ولقد تحدث

[1]- محمد المنصور، المرجع السابق، ص.249.
[2]- عبد العزيز السعود، ص.286.
[3]- محمد لعميري وآخرون، المرجع السابق،ص.216.
[4]- عبد العزيز السعود،المرجع السابق، ص.286.
[5]- محمد لعميري وآخرون، المرجع السابق، ص.64.
[6]- عبد العزيز السعود، المرجع السابق، ص.286.

بعض الباحثين عن طرق التدريس في عهد المولى سليمان بحيث قالوا أنها متنوعة فمنها المحاضرة والمناظرة وشرح المتن وحل المسائل والمشاكل وغير ذلك[1].

ومن خلال هذا نستنتج أن لكل عالم طريقته في التدريس فنجد أن الطلبة كانت تروق لهم بعض المجالس لأنهم يستفيدون منها، ولا تعجبهم مجالس أخرى لأنهم لا يستفيدون من طريقة التدريس فيها.

وكان الأساتذة والطلبة كلما أنهو دراسة مؤلف معين يقيمون احتفالا كبيرا يسمونه يوم الختم ويحضره ممثل السلطان أو السلطان نفسه، بحيث نجد محمد القادري يقول في ترجمته التاودي ابن سودة وأقرأ التفسير في القرويين وختمه وكان يوم ختمه مشهودا لم يتخلف عنه إلا القليل[2].

والملاحظ هنا أن فصل الشتاء هو الذي تنشط فيه حركة التدريس أكثر، ولم تكن الدولة هي التي تقرر اليوم الذي تبدأ فيه الدراسة أو تنتهي، بل كان ذلك حسب اتفاق الأساتذة مع بعضهم وغالبا ما يأخذون برأي ما يكبرهم سنا وقدرا[3].

3- تعليم البنات:

قد كان هناك اهتمام بتعليم البنات الشريفات لأن النساء شقائق الرجال في الأحكام ولم تخلوا القصور في حين من الأحيان من أساتذة من جلة خيار الأساتذة وأنزههم، ولا شغل له إلا تعليم البنات القراءة والكتابة والضروري من علوم الدين الذي لا يسع المكلف جهله شرعا ولا تخلوا القصور من الكتاتيب المعدة لذلك[4].

---

[1]- محمد لعميري وآخرون، المرجع السابق، ص.64.

[2]- نفسه، ص.219.

[3]- نفسه، ص.220.

[4]- عبد الرحمن بن زيدان، **العزوالصوله في معالم نظم الدولة**،ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1961، ص.77.

وفي القصور الملكية كان العنصر النسوي يتلقى غالبا تربية منزلية ومهنية وأعقابه فقيرات أو فقيهات وكانت بعض الهيئات بطنجة تخصص للبنات تعليما يوازيه توجيه طرقي يسمح لهن بالقيام بدور التوعية الطرقية بين الأوساط النسوية بعد تخرجهن[1]،فكانت هناك دور للتربية السنوية منها معامل للتطريز كانت هذه المعامل عادة تحت إشراف إمرأة واحدة من أصل محترم كانت تجمع عشر بنات صغيرات أو اثني عشر من أسر فاضلة، فتعلمهن التطريز وآداب اللياقة[2] والخياطة والنسيج وصنع الزابي وبذلك يتلقين خبرة عملية تفيدهن في تدبير المنزل وضمان مورد للعيش عند الحاجة[3]. وسواء هنا أو هناك كن يتلقين تكوينا خلقيا واجتماعيا أكثر منه فكريا، وحتى إذ كان يذهبن إلى المدرسة حيث كان اجتهادهن أقل من اجتهاد الأطفال، لم يكن يتجاوزن قط مرحلة التعليم العالي.

[1]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص.10.

[2]- روجي لوطورنو، المصدر السابق، ص.771.

[3]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص.10.

المبحث الثاني: مراكز التعليم

عرفت الحياة الفكرية على عهد السلاطين العلويين نشاطا متميزا في مختلف العلوم والفنون وذلك لانتشار عدد مهم من المراكز الثقافية كالكتاتيب والمدارس والزوايا والمساجد وغيرها في العديد من المدن والقرى المغربية، والتي اضطلعت بوظيفة نشر المعرفة وتعميمها بين الناس.

ومن بين هذه المراكز نجد:

1- الكتاتيب: تعرف بمدينة فاس بـ"المسيد" وهي أول المؤسسات التعلمية[1]، وقد اشتق اسم هذا "الكُتّاب"من التكتيب وتعليم الكتابة، وهذه المهمة التي تسند إليه فهو وجد لتعليم القراءة والكتابة بالإضافة إلى حفظ القرآن الكريم[2]، فلا تكاد تخلو حارة، مهما بلغت من الصغر من كتاب تكون جوانبه غاصة بالصغار، وهم منهكون في حفظ القرآن ومبادئ العلوم، ويبلغ التنافس أشده بين الكتاتيب والحارات في جودة الحفظ والحذق وكثرة المتخرجين الذين ختموا القرآن الكريم مرات عديدة بضبط وإتقان[3]،إذ نجد ان الكتاتيب القرآنية قد بلقت تشجيعا كثيرا من السلاطين العلوين، وهذا ما تحدث عنه الكمندار (استوار) في رحلة لمكناس حيث قال "توجد مدارس عديدة لتعلم فيها الصبيان الكتابة والقراءة والحساب يحفظون القرآن عن ظهر قلب فإذا ما حفظوه اشترى لهم أبائهم أفراسا هدية،ويتناول المصحف بيده ويركب الفرس يتفسح عليه وتأتي إليه أجواف الطرب وسائر صبيان المكتب تذهب لتتفسح مع المحتفل به حافظ القرآن"[4].

---

[1]- محمد العربي معريش، المرجع السابق، ص.156.

[2]- جمال أحمد طه، **مدينة فاس في عصره المرابطين والموحدين**، دار الوفاء،الدنيا، الإسكندرية،2001،ص.275.

[3]- مصطفى بن عمر المسلوتي، **الحركة العلمية في الجامع الكبير بمدينة تارودانت خلال القرنين 10و 11الهجريين**، في مجلة دعوة الحق، العدد325، 1997، ص01.

[4]- سعيد بوركبة،ج1، المرجع السابق، ص.236.

كان المغرب يزخر بالكتاتيب القرآنية ، التي تعد بالألاف وهي منتشرة في السهول كما في الجبال وقد بلغ عددها في مدينة فاس وحدها 135 كتابا منها 120 كتابا للذكور و15 للإناث، ولا تخلو القصور نفسها من الكتاتيب المعدة لحفظ القرآن [1].

ومن بين هذه الكتاتيب نذكر منها :

- مكتب باب درب اللبدة ، يقابل مسجد سيبوس بيد سيدي علال بن سيدي احمد حجي .
- مكتب بالصفارين ، يقابل السقايتين اللتين هناك بيد سيدي محمد بن احمد بوزكري .
- مكتب بالدرب الجديد من المخفية قرب زاوية سيدي يوسف الفاسي بيد الطالب احمد [2]

ان التعليم في هذه الكتاتيب لم تكن تحدده تشريعات ولا لوائح قانونية ، ولكن هناك اعراف تنظم شؤون الكتاتيب التي تخضع لرقابة مشتركة بين المحتسبين ونظار الاوقافعندما يكون للكتاب وقف معين[3].

فالعناية بالكتاتيب القرآنية في المغرب آنذاك هي السر الذي جعل المغرب محافظا على القرآن الكريم وعلى ما يضاف اليه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم[4].

2- المساجد : يختلف دورها التعليمي من حلقات شعبية للتوعية الدينية والفكرية ،بحيث يمكن للجماهير التي تتكون أغلبها من الحرفين أن تستمع إلى دروس السيرة النبوية ودروس الوعظ وحتى الحديث والتفسير إلى حلقات لشرح بعض المتون التعلمية للتلاميذ المبتدئين ، في النحو والفقه وغيرهما ،ثم حلقات تلقى فيها دروس معمقة يتتبعها طلاب متقدمون سنا وتكوينا[5] ويعد في طليعة هذه المساجد مساجد فاس فإنه لم يكن أكبر ولا أحسن من اربعة مساجد وهي مسجد القرويين

[1]- محمد العربي معريش ، المرجع السابق، ص . 158.

[2]- سعيد بوركبة، ج1، المرجع السابق ، ص ص.238، 239 .

[3]- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص ص .10، 11.

[4]- سعيد بوركبة، ج1، المرجع السابق، ص .240.

[5] - إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص ص. 11، 12.

ومسجد الاندلس ،ومسجد الرصيف ومسجد باب الجيسة وأكبر وأعظمها مسجد القرويين ، فهو أكثر تدريسا للعلوم وهو مسجد بهي رائق منور عليه طلاوة ولياقة ورونق وله أبواب كثيرة[1]،تم بنانه سنة245هـ الموافق لسنة859م وتم الانتهاء منه سنة 36هـ الموافق لسنة918م ، وبعد هذا التأسيس خضعت القرويين كما هو معلوم إلى توسيع وإضافات وتحميل وتجهيز قامت به الأسر المتعاقبة على الحكم التي جعلت من هذا الجامع المركز الأساسي للحياة العلمية[2]

وبقرب من مسجد القرويين في الضخامة ورفعه الشأن مسجد الأندلس وهو أيضا مسجد حليل مبارك فهي وله حرمة ووقار[3] يعتبر المركز الأساسي في الثقافة بعد جامع القرويين ، وقد عرف هذا الجامع عدة كراسي علمية في مختلف العصور المتعاقبة عليه، ومن بين هذه الكراسي كرسي الوراق بباب محرابه كان هذا الكرسي يدرس عليه التفسير غدوة وسيرة الكلاعي عشية[4]

ومن خلال هذا نستنتج أن المساجد كان لها دور فعال في تنشيط الحركة التعلمية والفكرية وتنتشر المعرفة وتعميمها بين الناس دون ان ننسى الجهود المعتبرة التي بذلها السلاطين العلويين في سبيل تشجيع الحركة العلمية.

3- الزوايا: تعتبر الزوايا مكان للعبادة وايواء الواردين وأبناء السبيل وإطعامهم وتسمي في الشرق "خانقاه" فهي مسجد خاص وعرفت دائرة المعارف الإسلامية الزاوية المغربية بأنها مدرسة دينية ودار مجانية تشبه الديرة في القرون الوسطى[5].

---

[1] – الحسن بن الطيب بن اليماني بوعشرين الخزرجي المكناسي ثم المراكشي، ط1،تق:محمد المنوني ،دار النشر للمعرفة، الرباط، 1994،ص.124.

[2]–محمد العيادي ، المرجع السابق ،ص.15.

[3]–الحسن بن الطيب بن اليماني ،المصدر السابق ، ص.127.

[4]– سعيد بوركبة، ج1، المرجع السابق، ص.ص. 379، 380.

[5]– ابن علي الدكالي ، الدرر اليتيمة في وصف مدينة شالة الحديثة والقديمة ،تح:عبير فهد شدود ، منشورات الهيئة العامة السورية، دمشق ،2012،ص.69.

فالزاوية هي عبارة عن مجموعة من الابنية يتوسطها صحن وتتوسط الأخيرة فوارة أو بركة وتشتمل الزاوية على غرف للطلبة وغرف للتدريس ومكتبة وجامع ومرافق عامة[1] كانت مهمتها تلقين الذكر والأوراد وإخضاع روادها لتوجيه، إذ أنها تجمع بين نشر العلم والتربية[2]

بيدأ التعليم في هذه المرحلة بين سن العاشرة وبين الرابعة عشر ويشمل برنامج التعليم فيها مجموعة من المصادر الأساسية ، ومن هذه المصادر نذكر الأجرومية والالفية والرسالة ومختصر الخليل وغيرها ولا يختلف استعمال هذه المصادر من زارية إلى أخرى إلا قليلا[3]

ومن بين الزوايا نجد:

أ/الزاوية الناصرية : تقع هذه الزاوية بتامكروت على ضفاف وادي درعة وراء الأطلس الكبير ، أسسها أبو حفص عام 983 هـ/1576 م [4] كانت الزاوية الناصرية دار علم وعبادة ومدرسة تربوية منهاجها كتاب الله وسنة رسوله الله ، وفي هذه الزاوية كان يتم تدريس العلوم وفنون كثيرة كالتفسير والحديث والفقه والاصول واللغة والآداب وسائر علوم الشريعة وفنون العربية ، وكانت لهذه الزاوية خزانة علمية لا بأس بها[5].

ب/ الزاوية الفاسية :أسسها أبو المحاسن الفاسي بالمخفية من مدينة فاس وكانت مركزا علميا عظيما[6] حيث وقع فيها بعث العلم ونشره وتدريسه وانتفع فيها جم غفير من الناس ، وبها منار يؤذنون به

[1]–محمد العربي معريش، المرجع السابق ، ص .ص.156،157.

[2]–عبد الكبير العلوي المدغري، المرجع السابق ،ص.73.

[3]–محمد العربي معريش، المرجع السابق ،ص .158.

[4]– محمد حجي ، الزاوية الدلائية، المرجع السابق ، ص.60.

[5] – عبد الكبير العلوي المدغري، المرجع السابق ، ص .ص. 130،131.

[6]– محمد حجي، الزاوية الدلائية، المرجع السابق ،ص.64.

المؤذنون لسائر الأوقات الخمس التي تصلى بها ،وأيضا فيها الأوقاف على قراءة الأحزاب القرآن وإقامة أحزاب الأوراد ،كما اقامهم بها سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي[1].

ج/ الزاوية العياشية: أسسها محمد بن أبي بكر العياشي عام 1044هـ/1625 م وتسمى اليوم زاوية سيدي حمزة وتقع في سفح جبل العياشي[2] وتعد هذه الزاوية من أعظم المراكز العلمية بالمغرب بالإضافة إلى كونها مدرسة من أهم المدارس الصوفية ، وأهم ما يستوقفنا عند النظر إلى نشاطها العلمي تلك الخزانة العظيمة التي ما زلت تشهد بما كان لأهلها من اعتناء بالعلم ، واهتمام بالكتب وإكتناز دورها مع حرصهم على أن تعم فائدتها جميع المسلمين[3].

أن الزوايا في هذا العهدلا تحصى ودوها يختلف من ديني إلى سياسي أو علمي تعلمي وقد تجمع بين الثلاثة وتتوفر هذه الزوايا عادة على اوقافها ،كخلاصة بالإضافة إلى أنها تعتمد على تبرعات وهبات المريدين والعاطفين عليها.

4/المدارس: لقد اهتم الملوك العلويين اهتماما كبيرا بإنشاء المدارس والتي هي بمثابة مؤسسة للتعليم الثانوي، فهي تشبه من حيث المبنى والنظام الزاوية، فالمدرسة فناء وقبة متخذة كمسجد علاوة على غرف للطلبة ويقوم بإدارتها "مقدم" متعدد المهام فهو بواب ومدير ومراقب في آن واحد[4].

كانت تمثل من وجهتها الفنية بساطة الحياة والمحيط الذي أنشئت به، كما أن جل هذه المدارس أنشئت من إيرادات بيت المال والأوقات[5]، فلقد دشن العلوين الأيام الأولى لدولتهم بإنشاء المدرسة الجديدة "الشرّاطين" وقد كان ذلك أوائل 1081هـ/ 1671م وهي المدرسة التي بناها المولى

---

[1]-محمد بن الطيب القادري، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر** ،ج3،ط1، تح: محمد حجي ، احمد التوفيق ، مكتبة الطالب ، الرباط ، 1986م ، ص ص .152 ،153.

[2]- محمد حجي، الزاوية الدلائية، المرجع السابق ،ص .68.

[3] - عبد الكبير العلوي المدغري، المرجع السابق ،ص .75.

[4]- محمد العربي معريش، المرجع السابق،ص.159.

[5]- إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ** ، ج3، المرجع السابق ،ص.534.

الرشيد وأكملها المولى اسماعيل في شارع الشراطين كانت مدرسة مهمة من حيث المساحة الفسيحة والفن البديع وهي تحتوي على ثلاث طبقات تشتمل على 232 حجرة وقبة للصلاة وبكل زاوية من زواياها الثلاث دويرة[1]، وكان يؤمّها على الخصوص طلبة من تافيلات وتازا الشرقية والمناطق الشرقية[2].

حيث أصبحت موردا عذبا لتلقي العلوم والمعارف وأدت رسالتها العلمية على أكمل وجه كما أدتها المدارس الأخرى التي أنشئت في عهد المرضين بفاس كالمدرسة الحلفاويين ومدرسة دار المخزن[3]،بالإضافة إلى هذا فقد اقتفى السلطان المولى عبد الله نهج والده فانشأ بفاس الجديدة مدرسة عرفت بمدرسة العبدلاوية[4].

وقد كان إنشاؤه إياها في سنة 1145هـ وتتكون هذه المدرسة من 12 بيتا يحاكي تصميمها مدرسة مقابلة لها وقد وقف على بنائها بنفسه وهذه المدرسة تقع بدار دبيغ بفاس، وقد كان غرضه من إنشائها إعداد فنيين في بعض التخصصات ولعله هو أول ملك علوي مغربي فكر في إنشاء مدرسة في هذا المجال[5].

وفي عهد السلطان محمد بن عبد الله أسس مدرسة سميت مدرسة باب الجيسة كما سفلت بني المسجد المجاور لها وهي سفلية لاطابق لها وتحتوي على 20غرفة، وكان يقصدها على الخصوص طلبة جبالة[6]، أما في عهد السلطان الحسن، فكانت المدارس في المدن وجلها في فاس كمدرسة

---

[1]- عبد الهادي التازي، **في تاريخ المغرب جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس**، مج3، ط1، دار المعرفة، الرباط،1792،ص.716.

[2]- إبراهيم حركات، **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية**، المرجع السابق، ص.535.

[3]- سعيد بوركبة، ج1، المرجع السابق، ص.241.

[4]- عبد الهادي التازي، مج3، المرجع السابق، ص.671.

[5]- سعيد بوركبة، ج1، المرجع السابق، ص.218.

[6]- إبراهيم حركات، **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية**، المرجع السابق، ص.235.

النحاسين التي تأوي طلبة سوس وبني زرهون وغيرهم ومدرسة العطارين بالإضافة إلى مدرسة الحبالين[1].

أسس الملوك العلويين عدة مدارس والتي تعتبر من أهم المؤسسات التعلمية في ذلك العهد، وفي هذا الصدد تحدّثنا عن أهمها إذ كان دورها التعليمي المحض قدساعد الطلبة برفع مستواهم التعليمي والارتقاء بمستوى الطلاب الجديريين لهذا الوصف.

[1]- محمد العربي معريش، المرجع السابق،ص.160.

المبحث الثالث: المواد المدروسة

لقد تطرق الباحثين إلى التعليم في العهد العلوي وذكر أحدهم أن السمة العامة للتعليم في هذا العصر لاتختلف في شيء عن السمة التي لاحظها قديما ابن خلدون في تعليم عصره[1]، فعلى مستوى العلوم لم يشهد البرامج والمناهج أي تغير يذكر، وذلك على مدى قرون، فكانت مادة **الفقه** تشكل أساس التدريس نظرا لارتباطها بالحياة العلمية،أما المعارف الأخرى فشملت **التفسير والحديث والأُصول وعلم الكلام والمنطق والصرف**[2].

ولكن ما نلاحظه في هذا العهد أن الدولة كانت تتدخل من حين إلى آخر في تحديد المواد الدراسية أو الكتب المقررة دراستها[3]، وهذا ما قام به الملك سيدي محمد بن عبد الله حيث وجه كامل عنايته واهتمامه بخدمة قضايا الشريعة،وإصلاح شؤون التربية والتعليم،لا سيما وأن السلطان أدرك ما نال أساليب التعليم من جهود وما أصاب الأمة بسبب ذلك من الأخطار[4]، إذ نجد أن السلطان محمد بن عبد الله قام بوضع برنامجا دراسيا لجامعة القرويين بمنشور مؤرخ عام 1203هـ/ 1788م،وجاء في فصله الثالث ما يلي:"أمرنا المدرسين في مساجد فاس ألا يدرسوا إلا كتاب الله تعالى بتفسيره وكتابدلائل الخيرات والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم"[5].

---

[1]– محمد لعميري وآخرون، المرجع السابق، ص.15.

[2]–محمد المنصور، المرجع السابق،ص.248.

[3]– إبراهيم حركات، **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية**، المرجع السابق، ص.15.

[4]– محمد بن عبد الله العلوي، **مواهب المنان بمايتأكد على المعلمين تعلمه للصبيان**، قابله وصححه عن النسخة الاصلية،أحمد العلوي عبد اللوي، مطبعة فضالة المحمدية،مغرب 1996،ص. ص.8، 9.

[5]– محمد الأخضر مبرز السربون، المرجع السابق، ص.272.

تدريس الحديث النبوي بالاعتماد على البخاري ومسلم والمسانيد فقد كان للسلطان مساهمة في هذا الميدان حيث وضع كتبا في الحديث منها الفتوحات الإلهية الكبرى والصغرى والجامع الصحيح واقتطاف أزهار المسانيد[1].

وكذلك قراءة سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم كالكلاّعي وابن سيد الناس اليعمري،وكذا كتب النحو كالتسهيل الألفية وغيرهما من كتب هذا الفن والبيان بالإيضاح والمطول وكتب التصريف وديوان الشعراء الست ومقامات الحريري والقاموسي ولسان العرب مما يعين على فهم كلام العرب لأنها وسيلة إلى فهم كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

أما في مجال الفقه والعقيدة فيجب الانكباب على دراسة أمهات المصادر الفقهية المبسطة وترك المختصرات المعقدة كمتن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني والمدونة برواية العلامة سحنون والبيان والتحصيل لابن رشد وغيرهما[3].

أما بالنسبة للعلماء الذين يقرؤون الإسطرلاب وعلم الحساب ينبغي أن يأخذ حظهم من الأوقات لما في ذلك المنفعة العظيمة والفائدة الكبيرة لأوقات الصلاة والميراث، ومن أراد أن يخوض لعلم الكلام والمنطق علوم الفلسفة وكتب غلاة الصوفية فليتعاطى ذلك في منزله ومن تعاطى ما ذكرناه في المساجد نالته عقوبة فلا يلومن إلا نفسه[4].

[1]– محمد بن عبد الله العلوي، المصدر السابق، ص.10.

[2]– محمد الأخضر مبرز السربون، المرجع السابق، ص.273.

[3]– محمد بن عبد الله العلوي، المصدر السابق، ص ص.10، 11.

[4]– عبد الهادي التازي، مج3، المرجع السابق، ص.723.

وبهذا فقد تعمدنا الإتيان بالنصوص جميعها لأنها كانت تشتمل على إصلاح جوهري للمادة المدروسة وهذا ماقام به السلطان محمد بن عبد الله إلا أن مشروع السلطان قد تعرض للإجهاض على يد خلفه السلطان سليمان الذي أعاد الأمور على ماكانت عليه[1].

وبالتالي فإن عهد السلطان سليمان الذي نقل الناصري عنه أنه لما أفضى الأمر إليه صار يحض الناس على التمسك بالمختصر ويبذل على حفظه وتعاطيه الأموال الطائلة، بحيث أعاد التوجيه إلى المختصرات لاسيما مختصر خليل[2]،إذ نلاحظ هنا أنه بمقدار يرى في أسلوبه عائق كان الولد يرى على عكس من ذلك أسلوب يساعد على اقتحام غوامض الأمور، وأضاف إليه العناية بمختصر ابن حاجب ويرى أن الاشتغال ببعض الشروح والحواشي من شأنه أن يشحذ الفكر وينمي طاقة المناقشة في الطالب[3].

أما بالنسبة للمواد التي كانت تدرس في هذه الفترة، فقد أوضح لنا الباحث أن الدراسة تعتمد على المتون على مختلف المواد التي لم تكن تخرج عن التفسير وعلم القراءات وعلم الحديث والتوحيد والمنطق والفقه والأصول علوم اللغة العربية[4]، وقد ورد في حديث الإمام المجاهد ابن السنوسي الذي جاء لفاس لأخذالعلم من جامع القرويين، فقد قال الإمام ابن السنوسي في ترجمته عن العلوم التي كانت تدرس في القرويين وذكر من هذه العلوم علم الفرائض والحساب الاسطرلابيين[5] صناعتهما

[1]– عبد العزيز السعود، المرجع السابق، ص.286.

[2]– محمد لعميري وآخرون، المرجع السابق، ص.59.

[3]– عبد الهادي التازي، مج3، المرجع السابق، ص.225.

[4]– محمد لعميري وآخرون، المرجع السابق، ص.62.

[5]–**الاسطرلابيين**: مشتق من اليونانية استرلابوس وهو أهم آلات الفلك وأدواته استخدم في أربعة أغراض رئيسية أولهما تحديد الوقت ولو في الظلام والثاني إيجاد الزوايا والثالث هو تحديد الارتفاع والرابع هو التنجيم. ينظر: الزبير مهداد، السلطان سيدي محمد بن عبد العلوي، في مجلة دعوة الحق، العدد367، يونيو 2002، ص.04.

والرياضيات والهندسة، واصول وقواعد الموسيقى والمساحة والتعديل والبسط والتكسير والجبر والمقابلة وغيرهما[1].

[1]- عبد الهادي التازي، مج3، المرجع السابق، ص. ص. 726، 727.

الفصل الثالث

مظاهر التعليم في المغرب الأقصى في العهد العلوي

المبحث الأول: المؤلفات (الكتب)

1- دور السلاطين والعلماء في حركة التأليف

2- دور الوراقة والنساخة

المبحث الثاني: الخزائن العلمية

1- الخزانة الملكية

2- الخزانة الخاصة

3- الخزانة العامة

المبحث الثالث: المجالس العلمية

لقد ازدهرت الحياة الفكرية بصفة عامة والتعليم بوجه خاص في عهد الدولة العلوية ازدهارا عظيما، تجلى في مظاهر عديدة من بينها كثرة التآليف، إذ نجد علماء هذا العصر ألّفوا في شتى العلوم، وهذا ما كان يستدعي إلى تأسيس خزانات علمية من أجل توفير حاجيات الطالب، وما نلاحظه أيضا اهتمام السلاطين العلويين بالمجالس العلمية، وهذا كله راجع إلى ما كانت تشهده الحركة التعليمية في عهد السلاطين العلويين.

المبحث الأول: مؤلفات (الكتب)

عرف المغرب مع الدولة العلوية حياة الاستقرار والازدهار، فانتعشت الحركة الفكرية وتبعتها الحاجة الملحة الى الكتب، فتركوا لنا مؤلفات عديدة في مجال التاريخ والأنساب والتفسير والفقه والأدب وعلوم أخرى وان كان معظمها ذهب فإن بعضها المتبقي لازال يحتوي على كنوز في جميع العلوم، وهذا لقوله صلى الله عليه وسلم"وقيدوا العلم بالكتابة".

فالتراث العربي زاخرا بأنواع شتى من المعارف بها جلاء لكثير من غوامض العلم، كما أنه مشحون بالطرائف وغذاء الذهن والروح واللسان أيضا فإن الحكيم العربي كان يقول وقوله حق "العلم سيد والكتابة قيد" وان ضاع القيد ذهب القيد[1].

1- دور السلاطين والعلماء في حركة التأليف:

كان للملوك العلويين قدم في العلم واتساع في معرفة الكتب ولهذا للاعتبار فهم لم يقتصروا على طلب المخطوطات العربية المحفوظة في اسبانيا، بل انهم قد اتصلوا حتى بملوك فرنسا يأمل استعادة جزء من المخطوطات العربية الموجودة في المكتبات الفرنسية وشرع الملك مولاي إسماعيل في أول محاولة، فقد طلب من لويس الرابع عشر الكتب العربية التي كانت في فرنسا والتي لم تكن مستعملة[2]

[1]- عبد السلام هارون، **كناشة النوادر**، قس1، ط1، مكتبة الخانكي، القاهرة، 1985، ص.1.

[2]- أحمد شوقي بنين، **تاريخ خزائن الكتب بالمغرب**، ط1، تر: مصطفى طوبي، الخزانة الحسنية، مراكش، 2003، ص .ص. 190- 191.

فالمجهودات المحمودة التي بذلها المولى إسماعيل لاستعادة المخطوطات وتوفير المؤلفات وتعميمها بين طلبة العلم للنفقة في الأمور الدينية والمعرفية، ثم تسبيلها على وجه التحبيس المخلد والوقف المؤبد[1]، فمن الإشارات الواضحة عن تكلم الجهود العلمية الحميدة ما ذكره الإفراني في "روضة التعريف" حينما قال: "وأما آلات العلم وجمع الكتب ونفائس الذخائر فله في ذلك نصره الله الهمة البالغة عندما طلب منه الاسبان عام 1690، تسريح مائة من أسراهم اشترط عليهم إطلاق سراح 500 أسير وتسليم 5000 كتاب من كتب الإسلام المحتجزة بخزائنهم بإشبيلة وقرطبة وغرناطة[2].

كما اعتنى أيضا هذا الأخير بعملية نسخ المؤلفات الأدبية والفقهية وجعلها في متناول طلبة العلم، وفي عام 1688م بعث السلطان بإزعاج الناسخين من فاس، فأشخصوا إلى مكناسة وهم نحو أربعين، بقصد نسخ أربعة وعشرين سفرا من العنترية والفداوية والأزلية وما يتصل بها من أخبار الشجعان[3].

وبتولي حفيده محمد بن عبد الله مقاليد الحكم سيستمر على نهج جده المولى إسماعيل، فقد أرسل هذا الأخير الذي كان له باع في الفقه والكتابة وولع بالكتب، سفرين لدى إسبانيا وكان استرجاع المخطوطات وخاصة مخطوطات الأسكوريال من إحدى بنود معاهدات السلم الموقعة مع هذا البلد[4].

[1]- محمد العمراني، **جهود السلاطين العلويين في توفير الكتب تحبيلها على المؤسسات العلمية والأدبية**، في مجلة دعوة الحق ، العدد 404، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المنشور السعيد، المغرب، 213، ص. 03.

[2]- نفسه، ص. 03.

[3]- نفسه، ص. 03.

[4]- أحمد شوقي بنين، المرجع السابق، ص. 192.

كما قام بنسخ الكتب النادرة وكتب الأدب حتى كان من أجل ذلك قال الزياني: "يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، بل لا يمسك شيئا"، وقام بتوزيع 12 ألف كتاب على خزائن المغرب وكانت ضمن ما جمعه جده المولى إسماعيل في خزائنه الخاصة بمكناس[1].

إذ ألف هذا المولى عدة كتب زاوج فيها بين الأصول والفروع والنصوص الفقهية والحديثية منها كتاب مساند الأئمة والفتوحات الإلهية، وذلك لينهج للعلماء طريق العمل سواء في التدريب أو التأليف[2].

نجد الملوك العلويون كلهم تقريبا كتابا، إن تبحرهم في معرفة وحيهم للأدب ونسخهم للكتب، وقد شجع العلماء الذين وجدوا إلى جانبهم الحماية والسند والممول المادي والمعنوي، فأغلب المؤلفات مهداة إلى هؤلاء الملوك، ومن ضمن هذه المؤلفات "روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل الشريف" الذي كتبه الإفراني وأهداه إلى المولى إسماعيل[3].

ونذكر أيضا آثار الموسوعي والبحاثة والمؤرخ الكبير أبي القاسم الزياني الذي أهداها إلى المولى سليمان، ومن ضمن ما أهدي إليه "البستان" و"ألفية السلوك ووفيات الملوك" وشرحه "الترجمان المعرب"، فكل هاته المؤلفات وأخرى أنجزت بطبيعة الحال برسم المكتبة الملكية[4].

ولم يكن الملوك العلويين يكتفون فقط بالمؤلفات التي يهديها إليهم كتابهم المقربون بل كانوا يأمرون أيضا هؤلاء الكتاب بتأليف الكثير التي تنقصهم وعلى هذا النحو ألف محمد بن ريسون العلمي التطواني "فتح العالم الخبير في تحديد النسب بأمر من الأمير" بإشارة من محمد بن عبد الله،

[1]- إبراهيم حركات، **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية**، المرجع السابق، ص. 43.

[2]- عبد الله كنون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ج2، المرجع السابق، ص. 275، 276.

[3]- أحمد شوقي بنين، المرجع السابق، ص. 96.

[4]- نفسه، ص. 96، 97.

وألف محمد بن عبد القادر السلاوي بإشارة من الخليفة نفسه إدراك الأماني من كتاب "الأغاني"، ونذكر أيضا جيش العرمرم للمؤرخ محمد إكنسوس الذي ألفه بإشارة من الملك محمد بن عبد الرحمن[1].

لقد كان للملوك العلويون شأنهم في ذلك شأن السعديين في علاقتهم مع الخلفاء الآخرين والعلماء الشهيرين في الأقطار الإسلامية وذلك توخيا للحصول على الكتب التي كانوا يرغبون فيها ولم تكن موجودة عندهم وذلك عبر التبادل أو عبر الاقتناء[2].

بالإضافة إلى ذلك فإن المؤرخين المغاربة لا يغفلون في غالب الأحيان على تصدير مصنفاتهم، بحجج تثبت حسن نيتهم معتمدين في هذا الشأن على مصادر اشتهر أصحابها بها، فنرى أحمد بابا التبكني في نيل الابتهاج ومن بعده إكنسوس في الجيش العرمرم وغيره، أما طريقة الكتابة بقيت في نفس الطريقة التي عرفت في القرون الوسطى بالشرق والغرب التي وصفها أسلافهم[3].

2- دور الوراقة والنساخة:

لعبت النساخة دورا هاما في تطور التعليم لتغطي طلبات المتعلمين والمعلمين والمؤلفين وهذا لأن الطباعة لم تكن موجودة لا في المغرب ولا في أي جهة إسلامية أخرى.

الوراقة مصطلح عربي من جذور ورق وتعني ورقا تصفح كتابا معينا والوراق هو الذي يعتني بالكتب وقد أخذت الوراقة مع الزمان مفهوما واسعا تتمحور حول انتساخ المؤلف وتصحيحه وتجليده بالجملة ضاعت الكتب أما النساخة احدى العناصر الأساسية في الوراقة[4].

---

[1]- أحمد شوقي بنين، المرجع السابق، ص. 97.

[2]- نفسه، ص. 97.

[3]- ليفي بروفنصال، **مؤرخوا الشرفاء**، دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، تع: عبد القادر الخلادي، الرباط، 1977، ص ص. 41- 57.

[4]- أحمد شوقي بنين، المرجع السابق، ص. ص. 222، 223.

فكان دور الوراقون يضطلعون بمهمة النساخة للمؤلفات على تباين موضوعاتها وبينهما مجموعات من الدواوين المتعددة الأسفار ومن هذه الكتب حديثة التأليف، فتنتشر بالانتساخ للمرة الأولى[1].

راجت مهنة النسخ بشكل خاص خلال القرنين 12- 13هـ/ 18- 19م اذ كان بعض الناسخين ينسخون بقصد تثقيفهم الذاتي، فإن الآخرون يجدون في هذه المهنة موردا جيدا وبعضهم جمع الإنتاج الثقافي ومهمة النسخ أو الوراقة[2].

وبهذا ظهر وراقون خصوصيون إلى جانب الوراقين للعموم وتبع نشاط الخطاطة، وجود طبقة المصححين للمستنسخات والمزخرفين لها والخرجين للمؤلفات[3].

وفي أيام السلطان محمد بن عبد الرحمن[4] أسست المطبعة الحجرية بفاس وبدأت تخرج كتب العلم القيمة بخطوط ممتازة وتصحيح كامل وهي التي ماتزال لحد الآن قيد البصر وبهجة النظر تنافس فيها الناس، ويكفي أن يقول الشخص أن هذا الكتاب مطبوع بالمطبعة الحجرية أو المحمدية ليصبح ذخيرة من ذخائر الخزينة العلمية[5].

وأصبحت تعرف هذه المطبعة في عهد الحسن الأول بالمطبعة الفاسية واقترن اسمها بالطيّب الأزرق ابتداء من عام 1872 هذا فيما تذكر بعض المصادر أن الطيّب الأزرق وأخاه العربي قد أحدث كل منهما مطبعة وكانت هذه المطابع في حالة تشغيل، ومن الكتب التي تم طبعها كتاب

[1]- محمد المنوني، المرجع السابق، ص. 156.

[2]- إبراهيم حركات، **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية**، المرجع السابق، ص. 43.

[3]- محمد المنوني، المرجع السابق، ص. 143.

[4]- **محمد بن عبد الرحمن:** هو أمير المؤمنين، محمد الرابع بن عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل استخلفه أبوه بفاس عام 1255هـ، تولى قيادة الجيش المغربي الذي حارب فرنسا بوادي ايسلي سنة 1260هولما توفي والده عام 1276هـ بويع بمكناس ملكا وبعد شهرين من جلوسه على العرش أعلنت اسبانيا الحرب على المغرب وكانت وفاته بمراكش، سنة 1290، ينظر: عبد الرحمن بن زيدان، ج1، المصدر السابق، ص. 16.

[5]- عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج3، ص. 280.

"شرح الشيوخ مرتقي على الأحياء" وتلقى السلطان نحو 200 نسخة سلم نصفها إلى مكتبة القرويين[1].

وكان يبيع الكتب قليلا بالرغم من وجود جامعة وكان يجري في مكتبة القرويين يوم الجمعة ويتم البيع بالمزايدة بعد الصلاة كان يبيع المخطوطات بالمزايدة أيضا شائعا وذلك بأماكن عديدة من المغرب أما المكتبات البيع الخاصة فلم تتجاوز العشر في فاس والكتب المتوفرة أما مطبوعة في فاس وأما في القاهرة[2].

وكانت الكتب المطبوعة على العموم إما كتبا تقليدية موجهة إلى القرويين وإما كتبا تمجيدية تخدم سياسة السلطان الدينية، ومن الكتب المطبوعة القرآن الكريم عام 1879م، وكتاب "الإحياء" للغزالي عام 1887م وكتب السيَر هدفها دعم السلطة بعض العائلات الخاصة وهكذا لم تخرج الكتب المطبوعة عن نطاق الثقافة التقليدية[3].

لقد امتاز العصر العلوي بوفرة التآليف، لاسيما منها تراجم الصوفية والشروح الفقهية والحواشي والذيول والأراجيز، وظهور أنماط جديدة من التأليف كمحاضرات اليوسي وقانونه، وأقنوم عبد الرحمن الفاسي ورحلة العياشي، وكلها تعد دوائر معارف لما كان يروّج في ذلك العصر[4].

وقد أغرق العلماء في التصنيف حتى بلغت تآليف بعضهم المائة والسبعين، وهذه الوفرة من أبرز ميزات العهد العلوي يضاف إليها التنوع حيث تجد الرجل الواحد يؤلف في الطب والفقه والتاريخ والتراجم والآداب[5].

---

[1]- محمد العربي معريش، المرجع السابق، ص. 170.

[2]- نفسه، ص. 169.

[3]- نفسه، ص. 170.

[4]- **جوانب من الحياة الثقافية بالمغرب الأقصى الحديث 1790/ 1640**، في مجلة دعوة الحق، العدد 1705، ص. 13.

[5]- نفسه، ص. 13.

ويمكن القول ان التأليف التاريخي في العهد العلوي مقارنة مع العهد السعدي حقق تقدما كثيرا من حيث عدة المؤلفات وتوسع مضامينها ومن حيث موضوعية المؤلفين، وتقدما متواضعا من حيث المنهجية، إذا كان المؤلفون عامة أسهموا بحظ وافر في هذا التطور[1].

المبحث الثاني: الخزائن العلمية:

كان السلاطين العلويين شديدي التمسك بالعلم والمعرفة وفاء لتقاليد الملك العريقة القائمة على نشر المعرفة والعناية بأهل العلم فقد دأبوا على نسخ الكتب وتأسيس الخزانات العلمية[2]، والتي كانت الحاجة ماسة إلى تأسيسها، وبالتالي فهي عبارة عن مكان لقراءة الكتب والبحث في كل الأوعية التي تحمل أمانة الكلمة المكتوبة، بالإضافة إلى أنها مستودع للتراث الفكري والعلمي للإنسانية من يوم بدأ الانسان يسجل أفكاره ومعتقداته[3] ومن هنا يجب علينا أن ندرك مختلف أنواع خزانات الكتب فمن بين هذه الخزانات نجد:

1/الخزانة الملكية:

هي خزانة شخصية أسسها خليفة أو ملك تختلف عن الخزانات الخاصة بغير مجموعاتها التي تتشكل في غالب الأحيان من الكتب النادرة والفريدة[4]، وتعود الأصول الأولى لخزانة الكتب الملكية على عهد العلويين إلى مؤسس هذه الدولة مولاي الرشيد، الذي أنعش النشاط الفكري في المغرب وازدهر هذا النشاط بوصول العلماء والأدباء الذين تتلمذوا في مراكز دراسية وفي زوايا منعزلة، وقد وضع العلويين خزانة البلاط مما غنموه من كتب الزوايا وكتب الدولة السابقة وعلى هذا النحو نقل

[1]- محمد لعميري وآخرون، المرجع السابق، ص. 255.

[2]- عبد الرزاق وورقية، **عناية ملوك الدولة العلوية الشريفة بخزانة المولى ادريس زرهون من خلال تحبيس الكتب عليها**، في مجلة دعوة الحق، العدد: 404، 2013، ص. 10.

[3]- أحمد شوقي بنين، المرجع السابق، ص. 5.

[4]- نفسه، ص. 49.

مولاي الرشيد عددا كبيرا من كتب الزاوية الدلائية إلى قصره في فاس، لتشكيل نواة الخزانة الملكية عند العلويين[1].

وبعد موت الرشيد نقلت هاته المكتبة إلى مكناس[2]، التي أصبحت عاصمة المغرب على عهد مولاي إسماعيل، وقد شيد هذا الأخير هذا الأخير بنايه خاصة تسمى "دويرة الكتب" لحفظ الكتب الملكية التي وصلت على عهد الخلافة الطويلة إلى أنثى عشر ألف مخطوط وفي القرن 18 ستقام المكتبة الملكية في مراكش[3] التي أصبحت من جديد عاصمة المغرب في عهد محمد بن عبد الله.

ومن مؤلفات المهداة إلى المكتبة الملكية نذكر "روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل" وأيضا اهدى المؤرخ الكبير أبي القاسم الزياني إلى مولاي سليمان كتاب "البستان وألفية السلوك في وفيات الملوك" فكل هاته المنجزات أنجزت بطبيعة الحال برسم المكتبة الملكية[4].

2/الخزانة الخاصة:

إن أصحاب المكتبات الخاصة كانوا يخصصون موضعا من سكانهم للكتب فقد كانت توجد في هاته المكتبات كتب الأدب والتاريخ والفلسفة وكتب التصوف وغيرهما، وبالتالي كانت هذه المكتبات مفتوحة لجمهور محدود، وكان الأدباء أصدقاء ملاك هاته الخزانات هم الأكثر حظوة ضمن هذا الجمهور، وهذا ما جعلنا ننعتها بأنها خزانات شبه عامة[5].

---

[1]- أحمد شوقي بنين، المرجع السابق، ص. 95.

[2]- **مكناس:** مدينة مغربية تقع على منتصف الطريق بين الرباط وفاس، تشتهر المدينة بعمارتها الجميلة وجامعتها وأسواقها التجارية وصناعتها المتطورة يبلغ عدد سكانها نحو 500ألف نسمة ينظر: كمال موريس شربل، الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1998، ص. 402.

[3]- **مراكش:** مدينة مغربية تقع في أحسن موقع بافريقيا على بعد خمسة مراسيخ أو ستة من جبل الأطلس أسسها ابن تاستفين حوالي عام ألف واثنين وخمسين للميلاد حسن مارواه عبد الملك مؤرخ مراكش، ينظر: المارمول كربخال، **إفريقيا**، ج 2، تر: محمد حجي، وآخرون، دار النشرللمعرفة، الرباط، 1984، ص ص. 46، 47.

[4]- أحمد شوقي بنين، المرجع السابق، ص .ص. 95، 96.

[5]- نفسه، ص. 112.

ومن بين المكتبات الخاصة ذات الأهمية يجب أن نذكر الخزانات الأميرية من بينها خزانة الأمير مولاي الرشيد كانت توجد بسجلماسة، وكانت تتسع بشكل خاص لمؤلفات الفلسفة والأدب وأيضا خزانة مولاي سليمان[1].

وأيضا كانت بعض الخزانات المشهورة بغناها أهمها خزانة الشريف مولاي ادريس بن عبد الهادي، وكذلك خزانة الفاسيين الواقعة بملحقات ضريح سيدي عبد القادر بالإضافة إلى خزانة زاوية سيدي أحمد التيجاني وخزانة الكتانيين[2].

وبالتالي فقد لعبت هاته الخزانات الخاصة دورا كبيرا في تطوير العلم ونشره بالإضافة إلى استفادة عدد كبير من المثقفين من هذه المكتبات.

3/الخزانات العامة:

قد أرفقت الجوامع والمدارس والزوايا بخزانات كتب كانت تستقبل عامة الناس ومن بين هذه الخزانات نجد:

1/خزانات الجوامع:

أ–خزانة جامع القرويين:

لقد اهتم الملوك العلويين بدورهم بهاته الخزانة العلمية التي يتوفر عليها مسجد الجامعة، فالسلطان الرشيد عمد إلى الخزانة القروية فأولاها من عناتيه وعمل على تنظيمها ولما فآجأته المنية قام السلطان المولى إسماعيل بتتميم مشاريع أخيه فاهتم بترتيب الخزانة وأهدى إليها الكتب التي كان يجمع الخطاطين لنسخها[3].

[1]– أحمد شوقي بنين، المرجع السابق، ص. 107.

[2]– روجي لوطرنو، المصدر السابق، ص. ص. 679، 680.

[3]– عبد الهادي التازي، مج3، المرجع السابق، ص. 668.

وتذكر المصادر أن المكتبة كانت تحتوي على حوالي ألفي 2000 كتاب منها ألف وستمائة مخطوط[1].

وضع المولي إسماعيل للمخطوطات فهاريس منها ما كان خاص بالمصاحف ومنها ما يتعلق بالكتب التفسير والقراءات والكتب الحديث والتصوف والفقه والتاريخ وعلم الكلام والمنطق والأصول والتوقيت والحساب والطب[2].

إن خزائن القرويين هي أقدم المكتبات في المغرب وأشهرها فقد اعتبرها المغاربة أول خزانة كتب في العالم ولإعطاء فكرة رفيعة عن تراثها المكتبي كان المثقفون يقولون الذي يدخل القرويين يسمع عمل العث وهو يقرض الكتب[3].

ب–خزانة كتب جامع ابن يوسف:

كانت هذه الخزانة تضم مجموعات قيمة أنشئت بوجه خاص من الوقف، وتشير فهرسة وضعت لهاته الخزانة في نهاية القرن 17م أن هاته المؤسسة كانت غنية جدا، فهي كانت تضم مخطوطات متعلقة بالفروع التالية، المصاحف والعلوم القرآن والأحاديث النبوية والفلسفة والمنطق وغيرهما[4].

إن جامعي القرويين وابن يوسف لم يكونا الوحيدين اللذين أُرفقا بخزانات كتب، إذ صنع نفس الأمر لمساجد أخرى وهكذا أرفقت جوامع الأندلس والرصيف وفاس وباب ودكالة والشرفاء بخزانات ثرية وكبيرة، لكنها لم تصل إلى الثراء والشهرة اللتين كانت عليهما خزانة القرويين[5].

[1]– محمد العربي معريش، المرجع السابق، ص. 168.
[2]– عبد الهادي التازي، مج3، المرجع السابق، ص. 669.
[3]– أحمد شوقي بنين، المرجع السابق، ص. 122.
[4]– نفسه، ص. 123.
[5]– نفسه، ص. 122.

2/خزائن المدارس:

إن عملية التدريس لا يمكن أن تكتمل إذ لم تصبح المكتبة ملحقة بالمدرسة، وهذا ما جعل المؤسسات الجديدة مرفقة كلها تقريبا بخزانات الكتب.

وتنحدر مجموعات مكتبات المدارس من الاقتناءانوالعطايا والوقف[1]، أما التنظيم الإداري في مكتبات هاته المؤسسات، لم يكن مختلف عن تنظيم ضروب أخرى من الخزانات العامة[2].

فقد كانت خزانات كتب المدارس علاوة على طابعها الجامعي الذي اكتسته منذ ظهورها منفتحة أمام الجميع فهي شأن كل الخزانات العامة الأخرى لم تكن تحصر تعاملها في نطاق المدارس التي توجد ضمنها بل انها كانت توسعه لصالح الباحثين الأجانب[3].

3/خزائن الزوايا:

كانت هذه الزوايا مرفقة بخزانات علمية، قد لعبت دورا أساسيا في تطوير المعرفة العلمية ومن بين خزانات هاته الزوايا نذكر:

أ–خزانة الزاوية العياشية:

تضم خزانة الزاوية مؤلفات متعلقة مثلا بالهندسة والطب وغيرها، فشيوخ هذه الزاوية لم يتراجعوا أمام أي ثمن لاقتناء المخطوطات الضرورية للطلبة التي كانوا بحاجة إليها، أو كانوا يأمرون بانتساخها وكانوا يستعرون من أجل هذه المخطوطات من فاس ومن زوايا أخرى مثل الزاوية الناصرية[4].

[1]– أحمد شوقي بنين، المرجع السابق، ص. 130.
[2]– نفسه، ص. ص. 133، 134.
[3]– نفسه، ص.ص. 133، 134.
[4]– نفسه، ص. 138.

ب–خزانة الزاوية الدرقاوية:

ويوجد في هذه الخزانة مائة وأربعة وعشرون كتاب في مختلف الفنون وهي من تحسين الفقيه ابي العلاء السيد ادريس بن همة الآسفي[1].

ج–خزانة الزاوية الناصرية:

اشتهرت هاته الخزانة بكونها واحدة من أثرى مكتبات المغرب وأروعها فهي تضم اليوم 4000 مخطوطا يوجد ضمنها أقدم مخطوط عربي في العالم[2].

انحدرت كتبها من الاقتناء ومن النساخة ومن الوقف ومن هبات وعطايا السلاطين وخاصة شيوخ الزوايا[3].

ان الملوك والامراء العلويين، قد اهتموا بتحسين الكتب على الخزائن العمومية أو اقتناء عدد منها واستنساخها لخزائنهم الخاصة فقد حبس مولاي الرشيد خزانة الجامع الأعظم بفاس الجديد منذ 1079هـ/ 1668م[4].

وقام السلطان مولاي عبد الله بن إسماعيل بتحبيس كتب من الخزانة الاسماعلية على بعض الخزائن الوقفية العامة بالمغرب، ثم أمر السلطان العالم المؤلف محمد بن عبد الله بن إسماعيل بتحبيس كتبها على مساجد وخزائنه لتعم فائدتها، ويذكر مؤرخو الفترة أن السلطان منها مصاحف شريفة للمسجد النبوي في المدينة المنورة[5].

---

[1]– محمد بن أحمد العبدي، **آسفي وما إليه قديما وحديثا**، د.ت، ص. 154.

[2]– أحمد شوقي بنين، المرجع السابق، ص. 141.

[3]– نفسه، ص. 139.

[4]– إبراهيم حركات، **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية**، المرجع السابق، ص. 41.

[5]– أحمد إيشرخان، **جهود السلطان مولاي إسماعيل في تأسيس الخزانات العلمية وازدهار الحياة الفكرية بالمغرب الحديث**، في مجلة دعوة الحق، العدد: 404، ص. 02.

كما حبس السلطان محمد بن عبد الله رحمة الله عليه كتاب كنز الأسرار على خزانة المدرسة الجديدة بالدار البيضاء بمكناس عام1179هـ وأوقف على المسجد الأعظم بطنجة مجموعتين من كتب الدين والأدب وغيرهما[1].

وأيضا قام مولاي الحسن بتحسين مجموعة من الكتب على الخزانة المسجد الأعظم بسلافي زيارته لها سنة 1293هـ، وذلك على يد القاضي أبي بكر عواد بطلب منه ويبدو ذلك بسبب إقبال القراء على الخزانة [2].

إن اهتمام سلاطين الدولة العلوية بأمر العلم تحبيسا ورعايتهم للعلماء واشرافهم على التآليف، وكذلك اهتمامهم بأمر المطبعة الحجرية بالإضافة إلى تنظيمهم للخزانات وإعادة نسخ المتلاشي من الكتب والناقص منها وغير ذلك، من الأمور التي تؤكد الاهتمام الشخصي للسلاطين بقضايا الكتاب والمكتبات والقراءة والتأليف وكلها من مفاخر سلاطين المغرب الأشراف[3].

ونرى من المفيد في ضوء ما أسعف له البحث أن نعمل على تحدثه هذا الإنتاج العزيز بالتدليل على الجديد فيه وأماكن وجوده، بعد ما كان مغمورا بالخزانات العلمية و مكتبات الأوقاف والزوايا ثم التنصيص على ما تم تسجيله منه بالجامعات المغربية لنفتح بذلك الأوقاف أمام المهتمين منهم بهذا التراث الغني، ذي القيم الإيجابية والمعاني السامية الذي أسهم بها علماؤنا الأعلام في ثناء صبح الفكر المغربي واعلاء مناره في مختلف ربوع مغربنا المعتز بحضارته، وشخصيته العربية الإسلامية وبمختلف مكونات ثقافته المتعددة المشارب[4].

---

[1]- عبد العزيز تيلاني، **عناية الملوك الدولة العلوية بالخزائن العلمية وتحبيس الكتب عليها**، في مجلة دعوة الحق، العدد: 404، الرباط، ص 01.

[2]- إبراهيم حركات، **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية**، المرجع السابق، ص. 42.

[3]- عبد العزيز تيلاني، المرجع السابق، ص. 01.

[4]- أبي المواهب الحسن بن المسعود اليوسي، **حواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي** ج 1، ط 1، تق، تح حميد حماني اليوسي مطبعة دار الفرقان للنشر الحديث، دار البيضاء المغرب، ص. 49.

المبحث الثالث: المجالس العلمية

اكتست المجالس العلمية على عهد الدولة العلوية طابعا خاصا متميزا، فكانت بحق مظهر من مظاهر الحركة العلمية والنهضة الفكرية المزدهرة التي عرفها وشهدها عهد هذه الدولة المنيفة، كما تبرز تلك المجالس العلمية مدى التقدير الكبير والعناية الفائقة التي كان يولها بصفة خاصة ملوك هذه الدولة للعلم والعلماء، وللعلوم الإسلامية وثقافتها الأصيلة[1].

فالمجالس العلمية هي قديمة، لم يخلق المغرب هذه المجالس، بل هي موجودة بشكل أو بآخر لدى شعوب التاريخ القديم، فملوك الهند والصين كان لهم مجالسهم من الحكماء والمنجمين، والبلاط البيزنطي كان يهيمن عليه الرهبان، وتجرى فيه مناقشات دينية وعلمية وسياسية، وفي الإسلام فتح الرسول صلى الله عليه السلام باب النقاش العلمي في مجالسه الخاصة بمسجد المدينة وبيته المجاور[2].

المجالس العلمية تعني وجود كرسي يصعد عليه الأستاذ ليتمكن من تبليغ رسالته، وخاصة منها المجالس التي يناهز عدد الحضور فيها المائتين أو الثلاث المائة من الطلبة[3].

وقد علمنا أن المغاربة الوافدين على المشرق في العصور الأولى كانوا يتأثرون بما هناك روحا وشكلا، بحيث كانوا يرون تلك الجهات مصدرا واشعاع لهم[4].

لقد كانت ولاية الكرسي بالقرويين أمرا بالغ الأهمية لأنه كان بمثابة ولاية حكومية، لا تقل عن منصب القضاء والإفتاء والوزارة، ولذلك كان الحصول عليه يستدعي عدة مؤهلات[5].

فلم يكن عهد ملك من هؤلاء الملوك الأشراف يخلوا من تقريب العلماء إليه، ومن تكوين مجالس علمية خاصة لديه، وهي مجالس كان لها دور كبيرا وأثرا إيجابيا عظيما في ازدهار المسيرة

---

[1]- آسية الهاشمي بلغيثي، المرجع السابق، ص. 3.

[2]- إبراهيم حركات، **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية**، المرجع السابق، ص. 52.

[3]- العباس بن إبراهيم، **الاعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام، ج 5**، المطبعة الملكية، المغرب، 1975، ص.261.

[4]- عبد الهادي التازي، مج 2، المرجع السابق، ص 370.

[5]- نفسه، ص. 370.

العلمية، لما كانت تقوم به تلك المجالس العلمية من دروس دينية على المستوى العالي الرفيع، وتصدره فتاوى شرعية دقيقة في مسائل دينية واجتماعية واقتصادية وفي قضايا وطنية هامة[1].

وكان ملوك هذه الدولة يشاركون العلماء في تلك المجالس، بما آتاهم الله من علم وفقه ودين، ويناقشونهم فيما يتناولون ويطرح عليهم من مسائل، ويبدون رأيهم العلمي في المسائل التي تكون مسار خلاف ونقاش قوي بين العلماء ويحاورون ويقنعون بالحجة والدليل، ويكتبون ويؤلفون ويشجعون العلماء على الكتابة والتأليف ويعملون على طبعه ونشره[2].

وأحيانا نجد السلاطين أنفسهم لهم مجالس علمية، فمثلا المولى محمد بن عبد الرحمن، كان عالما بالحديث، بالإضافة إلى سعة أفقه في أغلب العلوم الأخرى، الدينية، والحساب والهندسة، وكان له مجلس رسمي لتدريس الحديث، تعقد حلقاته مدة، رجب، شعبان، رمضان، من كل سنة[3].

إذ كانت هذه المجالس العلمية قد شهدت في عهد كافة ملوك الدولة العلوية الشريفة، نشاطا علميا متواصلا، وعطاءا فكريا متجددا، حيث تعدد عملها الإسلامي وتنوع نشاطها الديني وعطاؤها العلمي[4].

وهكذا تتجلى هذه العناية والرعاية الكبيرة للعلم والعلماء، في إحداث المجالس العلمية الإقليمية، بعدد من مدن المملكة وحواضرها الكبرى وفي الكراسي العلمية بمساجدها، وفي الدروس الحسنية الرمضانية، التي تتوج تلك المجالس وتزينها وتضفي عليها وعلى علمائها، في تلك الحضرة الحسنية ومجلسها المتين هاله من الجلال والوقار[5].

---

[1]- آسية الهاشمي بلغيثي، المرجع السابق، ص. 04.

[2]- نفسه، ص. 04.

[3]- إبراهيم حركات، **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية**، المرجع السابق، ص. 55.

[4]- آسية الهاشمي بلغيثي، المرجع السابق، ص. 04.

[5]- نفسه، ص. 05.

وهذه المجالس تتكون عادة من نخبة من العلماء الذين يُدعى بعضهم من خارج العاصمة، ويمكثون في ضيافة القصر أو بعض رجالات المخزن، ويحصلون في نهاية مهمتهم على إكرام السلطان[1].

فالملوك هم الذين سنوا والتزموا بعقد المجالس العلمية في بلاطهم على امتداد الأشهر الثلاثة: رجب، شعبان، رمضان يستدعون إليها كبار العلماء، والمفكرين من المدن والقرى بسائر الأقاليم، حيث يسرد صحيح البخاري غالبا وغيره من الكتب الستة أحيانا، كما تسرد كتب دينية أخرى في التفسير والسيرة النبوية وغيرها[2].

فقبل حلول شهر رجب يؤمر العمال والقضاة في جميع الأقاليم، باختيار نخبة من صفوة علماء أقاليمهم وارسائهم إلى العاصمة، معززين مكرمين على نفقة الدولة، هم وأعوانهم وخدامهم، زيارة على المنح والصلات السنية[3].

وفي مستهل شهر رجب تفتح المجالس العلمية في حفل بهيج، فبعد صلاة العشاء يستقبل خليفة المشور وأعوانه المدعوين ويدخلونهم إلى قاعة المجلس، وغالبا ما يرأسها قاضي العاصمة، زيادة على الرئاسة الشرفية والفعلية المباشرة للسلطان نفسه الذي يعين لكل دورة عالما كبير يتولي التقرير كما يعين آخر من مرتبته ليقوم بالسرد، وقد يتناوب السرد والتقرير نخبة مختارة من صفوة علماء المجلس[4].

وقامت هذه المجالس الحديثة بإعادة الاعتبار إلى أصل كبير وأساسي للشريعة، بدل اللجوء إلى الخلافات الفرعية داخل إطار المذهب المالكي، وهي خلافات يحلوا للمفتين أن يتحفوا بها حتى أولئك

[1]- إبراهيم حركات، **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية**، المرجع السابق، ص. 54.

[2]- آسية الهاشمي بلغيثي، المرجع السابق، ص. 203.

[3]- نفسه، ص. 203.

[4]- نفسه، ص. 204.

الأميين وأشباه الأميين، ممن يسألون عن شؤون دينهم وينتظرون أجوبة محددة تنطلق من أصول الشريعة ثم من اجتهادات المفتين أنفسهم[1].

وكانت هذه المجالس تعقد طيلة أيام الأسبوع باستثناء يوم الخميس والجمعة، وتختم هذه المجالس ليلة السابع والعشرين من رمضان، ففي هذه الليلة المباركة ليلة "القدر" كانت تقام حفلة دينية وأدبية كبرى من كل سنة، وظلت دروس هذه المجالس العلمية تجرى على هذه **الطريقة إلى عهد متأخر**[2].

فالمجالس العلمية تعتبر بحق منبرا حرا للعلم والعلماء ومظهر لحرية الفكر الإسلامي، وتبليغ رسالة الإسلام، مما جعلها قبلة الأنظار ومحط الاهتمام كل ما حل شهر رمضان من كل عام، تستقطب وتستضيف صفوة من أفاضيل العلماء والمشايخ وتشد إليها جلة من أكابر الفقهاء والأساتذة الاعلام ورجال العلم والفكر من مختلف البلاد الاسلامية[3].

[1]- إبراهيم حركات، **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية**، المرجع السابق، ص. 54.

[2]- آسية الهاشمي بلغيثي، المرجع السابق، ص، ص. 205، 208.

[3]- نفسه، ص. 05.

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع التعليم في المغرب الأقصى في عهد الدولة العلوية توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات من بينها أن الحركة الفكرية على عهد الدولة العلوية، شهدت نشاطا علميا وعطاءا فكريا متلاحقا ومتجددا وبالتالي عرف التعليم في عهد العلويين رعاية وعناية واهتماما خاصا من طرف السلاطين العلويين ووفر له تنظيما جديدا، وفتح لهم آفاقا واسعة وذلك لمواكبة العصر بما يقتضيه واستنباطات معرفية لمستجدات الحياة العلمية، فشهد التعليم ازدهارا متواصلا أيام العلويين وبلغ أوج ازدهاره في عهد بعض الملوك الذين كانوا علماء وحفاظا ومحدثين ولم تشغلهم الدولة ومهامها عن طلب العلم والتعمق في الثقافة والتفرغ في مجلس العلماء، فلا غرابة في ذلك إن كانوا هم كذلك علماء أمثال محمد بن عبد الله وابنه المولى سليمان.

ولا ننسى دور العلماء الذين واكبوا ركب النهضة العلمية المغربية، وقد أثمرت هذه النهضة وآتت أكلها على كافة عهود الدولة الشريفة، وبالتالي أظهر العلماء صورة مشرفة للحياة العلمية والتعليمية في هذا العهد الزاهر، فقد أفرزت الجولة العلوية العديد من العلماء والمفكرين في المغرب الذين نبغوا في مختلف العلوم كالطب والفيزياء والفلك وازدهرت اللغة العربية وآدابها.

إن السلاطين العلويين كانوا يقومون بتقديم هبات لأساتذة ويحترمونهم لأنهم يقومون بتأدية رسالة نبيلة ألا وهي رسالة التعليم التي لا يمكننا أن نغفل عنها لأن التعليم هو أساس تطور المجتمعات وازدهارها.

قامت الرحلات بمختلف أنواعها الحجازية والسفرية والعلمية بدور هام في تنشيط الحركة التعليمية من خلال إدخال علوم جديدة وتآليف لكتب قيمة.

أنشأ السلاطين العلويين الكتاتيب والمساجد والزوايا والمدارس في مختلف جهات المغرب، كما قاموا أيضا بتجديد البعض منها وذلك لتعميم التعليم ونشره في البوادي والمدن، فنظمت اللقاءات الدينية وأنشئت المراكز التعليمية في كل من سوس وسبتة وسلا وسلجماسة وغيرها من مدن المغرب، ناهيك عن وجود مراكز تعليمية يشهد لها التاريخ كجامعة القرويين التي كثرت حلقة الدروس فيها

وبلغ عدد الكراسي فيها خمسة عشر كرسيا، كانوا يتوافدون إليها الطلبة من مختلف أنحاء المغرب بالإضافة إلى هذا كانت تستقبل طلبة من الجزائر والسودان وغيرها من أجل استكمال دراساتهم العليا.

توجه السلاطين العلويين نحو تطبيق جملة من الإصلاحات التعليمية وذلك من أجل النهوض بالأمة المغربية، حيث كان لهم عناية كاملة بتعليم القرآن الكريم والتشجيع على قراءته، وتبجيل حملته وإكرامهم، فكانت العلوم المدرسة تهتم بعلوم القرآن والحديث والأصول والفقه والنحو واللغة وغيرها من العلوم الدينية.

تعتبر الأوقاف أهم موارد التعليم، وتسمى أيضا الأحباس وهي أهم مورد في عهد العلويين وأكثرها دخلا وإليها يرجع الفضل في بقاء واستمرار وانتظام الحياة العلمية والدراسية في معاهد التعليم للمغرب في عهد العلويين، وقد تبلور العمل بنظام الأوقاف كنتيجة طبيعية للنهضة التعلمية التي شهدتها بلا د المغرب على يد السلاطين العلويين في المؤسسات التعليمية المتعددة التي أقاموها في دولتهم، وبالتالي فإن السلاطين العلويين الذين توالوا على عرش المغرب قد حبسوا المخطوطات، وفي بعض الأحيان المكتبات برمتها على مسجد أو مدرسة بنيت في عهدهم.

ارتقاء حرفة الوراقة في هذا العهد وازدهار مهنة النساخين بسبب ديناميكية حركة التأليف في شتى الأغراض، وهذا أهم ما ميز هذا العهد إذ ألف العلماء في مختلف العلوم والفنون كالتفسير والفقه والأصول وغيرها من هذه العلوم.

تأسيس السلاطين للخزانات العلمية وجلب إليها الكتب النادرة والمخطوطات النفيسة، وهذا إن دل على شيء دل على أن هذه المكتبات كانت تزدحم بمختلف المؤلفات، وهذا ما يدل على مدى ازدهار الحركة التعليمية من خلال إدخال علوم جديدة وتآليف لكتب قيمة.

إن الكلام يطول على مآثر الملوك العلويين وما قاموا به من جهود في النهوض بالتعليم في هذا العهد الذي يمثل أخصب فترات الحكم العلوي في المغرب الأقصى، حيث ترسخت التقاليد الثقافية

أكثر خلال عهد العلويين بسبب الاستقرار السياسي ورعاية السلاطين للحركة الفكرية التي يعتبر التعليم جزء من هذه الحركة.

ملاحق

الملحق رقم (01): الزاوية الناصرية بفاس[1]

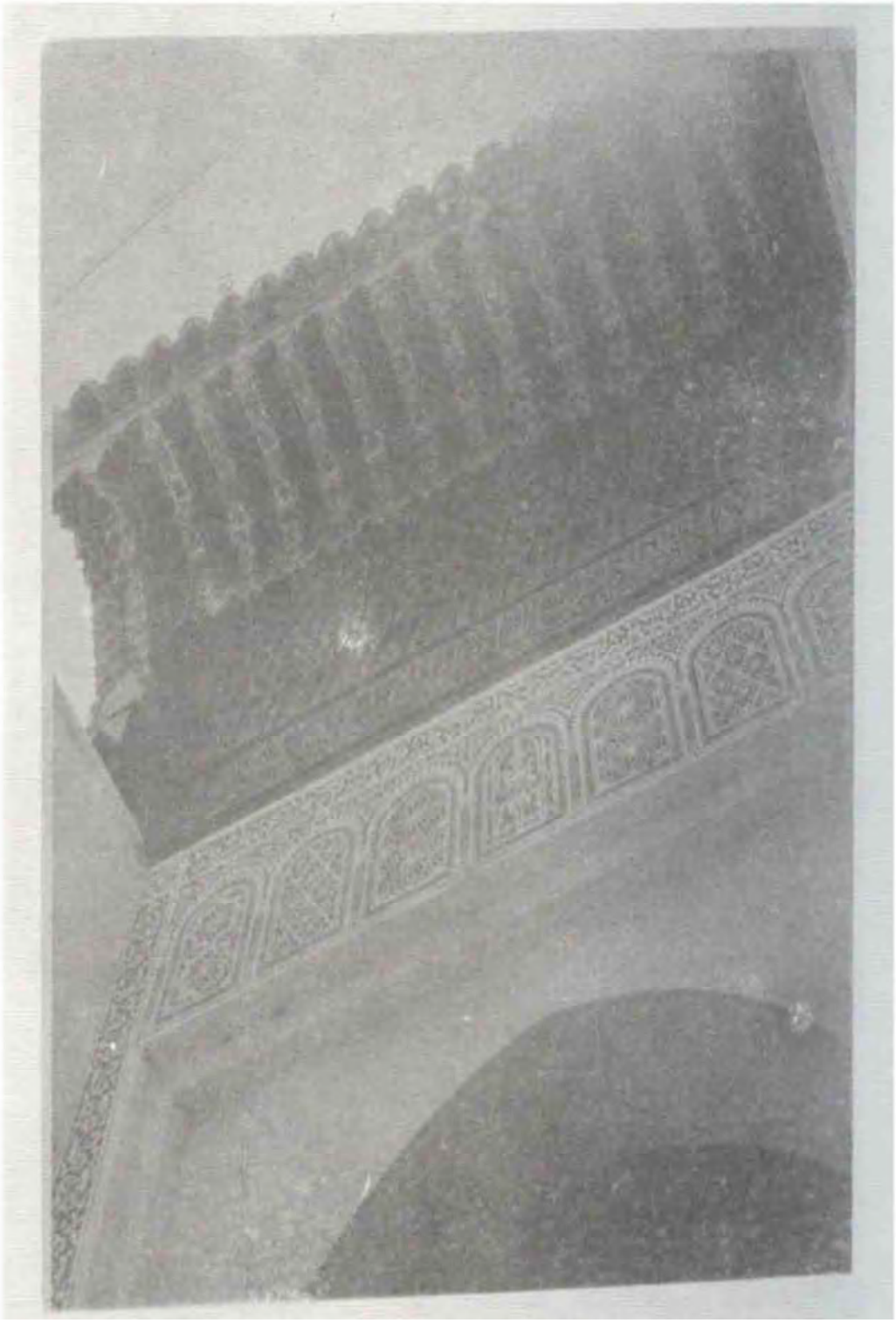

[1] - أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى**، المصدر السابق، ص. 26.

الملحق رقم 02: النوافذ التحتية والفوقية لجامع القرويين[2]

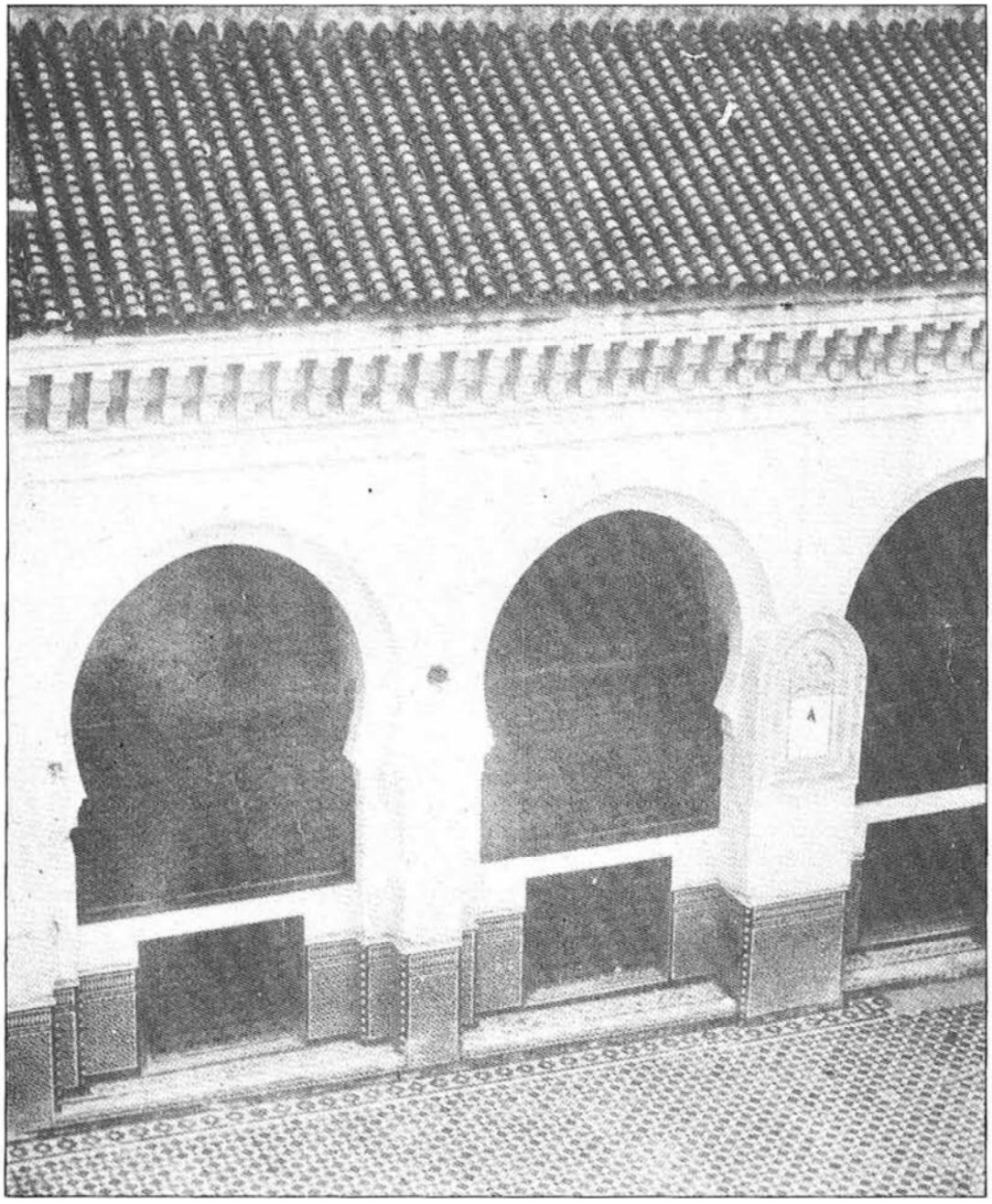

[2] - عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص: 187.

الملحق رقم (03): عدوة القرويين(جامع القرويين)[3]

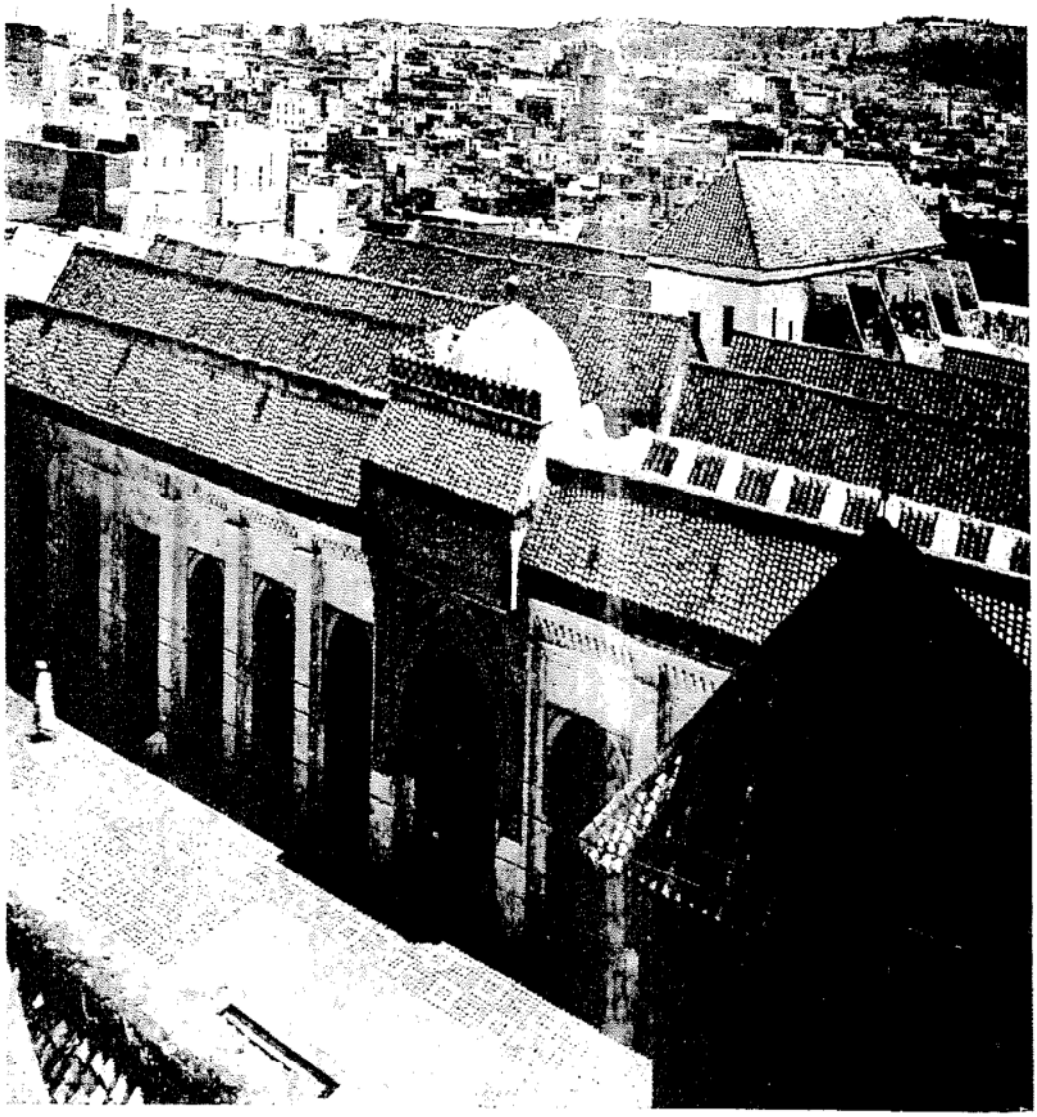

اللوحة 31

[3] - روجي لوطورنو، ج2، المصدر السابق، ص. 284.

الملحق رقم (04): عدوة الأندلس (باب الجامع)[4]

[4] - روجي لوطورنو، ج2، المصدر السابق، ص. 288.

الملحق رقم (05): صورة من أحد الكُتاب القرآني تبين المعلم وتلامذته[5]

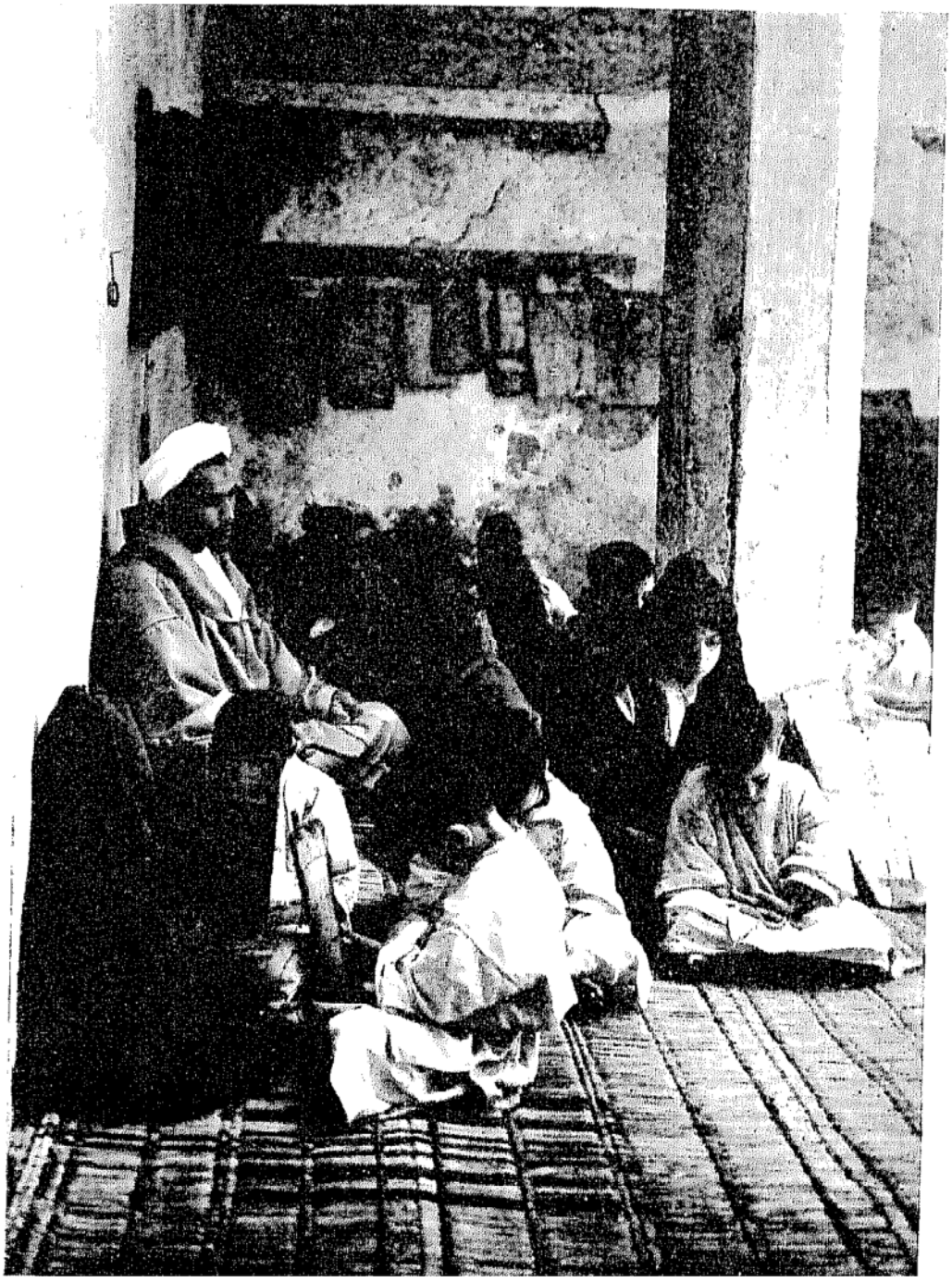

[5] - روجي لوطورنو، ج2، المصدر السابق، 343.

قائمة المصادر

والمراجع

- **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

المصادر:

1) الإفراني محمد الصغير، **نزهة الحادي عشر بأخبار ملوك القرن الثاني عشر والحادي،** ط1، تح، تق: عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1998م.

2) بن براهيم العباس، **الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام،** ج5، المطبعة الملكية، المغرب، 1975م.

3) بن زيدان عبد الرحمان، **الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية،** الرباط، 1937م.

4) بن زيدان عبد الرحمن، **العز والصوله في معالم نظم الدولة،** ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1961م.

5) الخزرجي الحسن بن الطيب بن اليماني بوعشرين المكناسي ثم المراكشي، ط1، تق: محمد المنوني، دار النشر للمعرفة، الرباط، 1994م.

6) الدكالي ابن علي، **الدرر اليتيمة في وصف مدينة شالة الحديثة والقديمة،** تح: عبير فهد شدود، منشورات الهيئة العامة السورية، دمشق ، 2012م.

7) الزياني أبو القاسم، **الترجمانة الكبرى،** تح: عبد الكريم فيلالي، دار النشر للمعرفة، الرباط، 1991م.

8) الزياني أبو القاسم، **تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب،** ط1، تح رشيد الزاوية، الرباط، مطبعة الأمنية ، 2008م.

9) الزياني أبي القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم ، **جمهرة التيجان وفهرس الياقوت واللؤلؤ المرجان في ذكر ملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان،** تح: عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003م.

10) السجلماسي ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد ، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج4**، ط1 ، تح : علي عمر ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ،2008م.

11) السلمي محمد الفاطمي، **إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة علماء المغرب المعاصرين**، ط1، تق: عبد الله كنون، دار البيضاء، 1992م.

12) الشفشاوني محمد ابن عسكر الحسني ، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، ط2، تح: محمد حجي، دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م.

13) الضعيف محمد عبد السلام، **تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)**، تح : أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط 1986م .

14) العبدي محمد بن أحمد، **آسفي وما إليه قديما وحديثا**، دت.

15) العلوي محمد بن عبد الله ، **مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان**، قابله وصححه عن النسخة الاصلية، أحمد العلوي عبد اللوي، مطبعة فضالة المحمدية، مغرب، 1996م.

16) العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد، **الرحلة العياشية**، مج 1، ط 1، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القريشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي 2006م.

17) الفشتالي أبي فارس عبد العزيز، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا** ، تح: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط.

18) القادري محمد بن الطيب ، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، ج3 ، ط1، تح: محمد حجي، احمد التوفيق، مكتبة الطالب، الرباط ، 1986م .

19) كاربخال مارمول، **إفريقيا**، ج2، تر: محمد حجي وآخرون، دار النشر للمعرفة، الرباط، 1984.

20) الكتاني محمد بن جعفر بن ادريس ، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج3**، تح: محمد حمزة ابن علي الكتاني، الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس، د. ت.

21) **كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 11 و12 هـ**، در، تح، نق، عواطف بنت محمد بن يوسف نواب، دار الملك عبد العزيز.

22) لوطورنو روجي ، **فاس قبل الحماية**، ج2، تر: محمد حجي ، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م.

23) المري عبد السلام بن عبد القادر بن سودة ، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، ط1، دار الفكر للطباعة ونشر والتوزيع، لبنان، 1997 م.

24) المشرفي محمد بن محمد مصطفى، **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها الغير المتناهية**، ج2، ط1، تح: إدريس بوهليلة، دار ابي رقراق للطباعة والنشر، المملكة المغربية، 2005م صادر:

25) المقري أحمد بن محمد ، **روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس**، ط2. المطبعة الملكية، الرباط، 1983، ص. ل.

26) الناصري أبو العباس أحمد بن خالد ، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة العلوية**، قس 2، ج 8، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، الدار البيضاء، 199.

27) اليفرني محمد الصغير ، **روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل الشريف**، ط2،تح: عبد الوهاب بن المنصور، المطبعة الملكية، الرباط 1995م.

28) اليوسي أبي المواهب الحسن بن مسعود، **حواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي**، ج1، ط1، تق وتح: حميد حماني، مطبعة دار الفرقان للنشر الحديث، الدار البيضاء، المغرب، **دت**.

المراجع

29) إبراهيم حركات، **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية**، ط2، دار الرشاد الحديثة، 1994.

30) الأمين محمد، محمد علي الرحماني، **المفيد في تاريخ المغرب**، نشر دار الكتاب، الدار البيضاء.

31) الأيوبي لحسن، **الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1998.

32) بلغيثي آسية الهاشمي ، **المجالس السلطانية العلمية على عهد الدولة العلوية الشريفة**، ج1، مطبعة فضالة، المغرب، 1994م .

33) بن عبد الله عبد العزيز ، **الرحلات من المغرب وإليه عبر تاريخ**، ط1، دار النشر للمعرفة، المغرب، 2001م.

34) بوركبة سعيد، **دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية، ج1**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

35) التازي عبد الهادي ، **في تاريخ المغرب جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس**، مج2،3، ط1، دار المعرفة، الرباط، 1792م.

36) الجراري عباس، **عبقرية اليوسي**، ط1، دار الثقافة ، الدار البيضاء، 1981م .

37) حجي محمد ، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين** ، ج2 ، منشورات دار المغرب.

38) حجي محمد، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، الرباط، 1988.

39) حركات إبراهيم، **المغرب عبر التاريخ**، ج3، ط2، دار الرشاد الحديثة، 1994م.

40) رياض محمد، **شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي الصديقي وجهوده في العلم والإصلاح والوطنية**، ط1، نهج العيون، 2005م .

41) السربون محمد الأخضر ، **الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية، دار الرشاد الحديثة**، الدار البيضاء.

42) السعود عبد العزيز، **تطوان في القرن الثامن عشر**، ط1، منشورات جمعية تطوان أسمير، تطوان، 2007م.

43) شربل كمال موريس، **الموسوعة الجغرافية للوطن العربي**، ط1، دار الجيل، بيروت، 1998.

44) طه جمال أحمد ، **مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين**، دار الوفاء، الدنيا، الإسكندرية، 2002م.

45) العبادي محمد، **محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني** ، مطبعة فضالة المحمدية، الدار البيضاء.

46) لعميري محمد، **ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة .

47) الفاسي عبد الاله، **مدينة الرباط وأعيانها في بداية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين 1830هـ-1912م**، منشورات جمعية الرباط، د.ت.

48) كريم عبد الكريم، **المغرب في عهد الدولة السعدية**، ط2، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الدار البيضاء، 2005م.

49) كنون عبد الله ، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ج1،2،3، ط1.

50) كنون عبد الله، **موسوعة رجال مشاهير رجال المغرب، مج 5**، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1997م.

51) مخلوف ماجدة، **أوقاف نساء السلاطين العثمانيين**، ط 1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2006م.

52) المدغري عبد الكبير العلوي ، **الفقيه أبو علي اليوسي نموذج من الفكر المغربي في فجر الدولة العلوية**، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، 1989م.

53) مركز الإصدارات الوطنية ، **المغرب الأقصى في عهد المولى سليمان** ، جامعة مولاي علي الشريف الخريطة الدورة 4، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الرباط.

54) معريش محمد العربي، **المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1989م.

55) المنصور محمد، **المغرب قبل الاستعمار**، ط1، تر: محمد حبيدة، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، 2006م.

56) المنوني محمد ، **تاريخ الوراقة المخزنية صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة** ، ط1، مركز ودود للمخطوطات، 1991م.

المجلات:

57) الزيدي مفيد ، **ملامح النهضة التعليمية منذ عهد المولى الرشيد غلى السلطان سيدي محمد بن عبد الله**،في مجلة دعوة الحق، العدد 326، مارس 1997م.

58) الشاوش محمد العربي، **الدولة العلوية المغربية النشأة والاستقرار والاستمرار**، في مجلة دعوة الحق، العدد: 273، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية المشور السعيد، المغرب.

59) غاندي زنقة، **الثقافة المغربية**،في مجلة دعوة الحق، العدد: 1393، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط ، المغرب، L1973 .

60) المسلوتي مصطفى بن عمر ، **الحركة العلمية في الجامع الكبير بمدينة تارودانت خلال القرنين 10و 11الهجريين**،في مجلة دعوة الحق، العدد 325، 1997م.

61) مهداد الزبير، **السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي**، في مجلة دعوة الحق، العدد367، يونيو 2002م.

فهرس

الموضوعات

مقدمة ..... أ

مدخل لمحة عامة عن الحركة الفكرية في المغرب الأقصى في عهد الدولة السعدية 06

الفصل الأول: عوامل تطور التعليم في المغرب الأقصى في العهد العلوي

المبحث الأول: تشجيع السلاطين للعلم والعلماء..... 15

المبحث الثاني: مساهمة الرحلات 21

المبحث الثالث: فضل العلماء وإسهاماتهم..... 28

الفصل الثاني: واقع التعليم في المغرب الأقصى في العهد العلوي

المبحث الأول: نظام التعليم 36

1. مراحل التعليم 36
2. طرق التدريس 38
3. تعليم البنات..... 39

المبحث الثاني: مراكز التعليم..... 41

1. الكتاتيب..... 41
2. المساجد 42
3. الزوايا..... 43
4. المدارس 45

المبحث الثالث: المواد المدروسة..... 48

الفصل الثالث: مظاهر التعليم في المغرب الأقصى في العهد العلوي

المبحث الأول: المؤلفات (الكتب)..... 53

1. دور السلاطين والعلماء في حركة التأليف..... 53
2. دور الوراقة والنساخة 56

المبحث الثاني: الخزائن العلمية..... 59

1. الخزانة الملكية 59
2. الخزانة الخاصة..... 60
3. الخزانة العامة..... 61

المبحث الثالث: المجالس العلمية 66

خاتمة 71

ملاحق 75

قائمة المصادر والمراجع 81

فهرس الموضوعات..... 89